العقيدة الإسلامية وتاريخها

تأليف
فضيلة الشيخ العلامة
محمد أمان بن علي الجامي
عميد كلية الحديث الشريف ورئيس شعبة العقيدة بالدراسات العليا
بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية "سابقًا"





العقيدة الإسلامية وتاريخها





١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

رقم الإيداع: ٢٠٠٤/٣٣٨٨م



٨١ شارع الهدي المحمدي - متفرع من أحمد عرابي - مساكن عين شمس - القاهرة

جمهورية مصر العربية محمول: ٠١٢٣٩٥٣٣١٧

E-Mail:DarAlmenhaj@HotMail.Com

العقيدة الإسلامية وتاريخها

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

محمد أمان بن علي الجامي

عميد كلية الحديث الشريف ورئيس شعبة العقيدة بالدراسات العليا

بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية "سابقاً"



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مختصر ترجمة العلامة محمد أمان الجامي

الحمد لله رب العالمين، الصلاة والسلام على عبده ورسوله مُحمَّد وعلى آله وصحبه ومن سار على نَهجه إلَى يوم الدين، وبعد:

فهذه ترجمة لفضيلة الشيخ الدكتور/ مُحمَّد أمان بن علي الجامي -رحمه الله تعالى- اختصرتُها من ترجمته المطولة الَّتي أعدها.

● **فصل فِي التعريف بالشيخ:**

١- **اسمه:** هو مُحمَّد أمان بن علي جامي علي يكنى بأبي أحمد.

٢- **سنة ولادته:** ولد كما هو مدون فِي أوراقه الرسمية سنة تسع وأربعين وثلثمائة وألف هجري.

● **فصل فِي طلبه للعلم:**

يعتبر الشيخ من المهاجرين إلَى الله ورسوله فبدأ -رحمه الله تعالى- طلبه للعلم بالمسجد الحرام فِي حلقات العلم المبثوثة فِي رحابه، واستفاد من فضيلة الشيخ عبد الرزاق حمزة -رحمه الله تعالى- وفضيلة الشيخ عبد الحق الهاشمي -رحمه الله تعالى- وفضيلة الشيخ عبد الله الصومالي وغيرهم منذ عام (١٣٩٦هـ).

وفي مكة تعرف على سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله- وصحبه فِي سفره إلَى الرياض فِي سنة افتتاح المعهد العلمي وكان ذلك

في أوائل السبعينيات.

وممن زامله في دراسته الثانوية في المعهد العلمي فضيلة شيخنا العلامة عبد المحسن بن حمد العباد البدر وفضيلة الشيخ علي بن مهنا قاضي التمييز بالمحكمة الشرعية الكبرى بالمدينة المنورة سابقًا، كما أنه لازم حلق العلم المنتشرة في العاصمة السعودية.

فقد استفاد وتأثر بسماحة المفتي العلامة الفقيه الأصولي الشيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشيخ -رحمه الله تعالى-، كما كان ملازمًا لفضيلة الشيخ عبد الرحمن الإفريقي -رحمه الله تعالى-، كما لازم سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله تعالى- فنهل من علمه الجم وخلقه الكريم، كما أخذ العلم بالرياض على فضيلة العلامة الشيخ مُحمَّد الأمين الجكني الشنقيطي -رحمه الله تعالى-، وفضيلة الشيخ العلامة المحدث حماد الأنصاري -رحمه الله تعالى-، وفضيلة الشيخ العلامة عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله تعالى- وتأثر المترجم له بالشيخ عبد الرزاق عفيفي كثيرًا حتَّى في أسلوب تدريسه.

كما استفاد وتأثر بفضيلة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي -رحمه الله تعالى- حيث كانت بينهما مراسلات، علمًا بأن المترجم له لَم يدرس على الشيخ السعدي، كما تعلم على فضيلة الشيخ العلامة مُحمَّد خليل هراس -رحمه الله تعالى- وكان متأثرًا به أيضًا.

كما استفاد من فضيلة الشيخ الداعية عبد الله القرعاوي -رحمه الله تعالى-.

- **مؤهلاته العلمية:**

- حصل على الثانوية من المعهد العلمي بالرياض.
- ثُمَّ انتسب بكلية الشريعة وحصل على شهادتِها سنة (١٣٨٠هـ).
- ثُمَّ معادلة الماجستير فِي الشريعة من جامعة البنجاب عام (١٩٧٤هـ).
- ثُمَّ الدكتوراة من دار العلوم بالقاهرة.

- **فصل فِي مكانته العلمية وثناء العلماء عليه:**

لقد كان للشيخ -رحمه الله تعالى- مكانته العلمية عند أهل العلم والفضل، فقد ذكروه بالجميل وكان محل ثقتهم، بل بلغت الثقة بعلمه وعقيدته أنه عندما كان طالبًا فِي الرياض ورأى شيخه سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز يحفظه الله نجابته وحرصه على العلم قدمه إلَى سماحة الشيخ مُحمَّد بن إبراهيم -رحمه الله- حيث تم التعاقد معه للتدريس بمعهد صامطة العلمي بمنطقة جازان.

وأيضًا مِمَّا يدل على الثقة بعلمه وعقيدته ومكانته عند أهل العلم أنه عند افتتاح الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة انتدب للتدريس فيها بعد وقوع اختيار سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز عليه، ومعلوم أن الجامعة الإسلامية أنشئت لنشر العقيدة السلفية وقد أوكلت الجامعة تدريس هذه العقيدة على فضيلة المترجم له بالمعهد الثانوي ثُمَّ بكلية الشريعة ثقة بعقيدته وعلمه ومنهجه -رحمه الله تعالى-، وذلك ليسهم فِي تحقيق أهداف الجامعة.

وإليك الآن أخي القارئ نقول العدول المعدلين فيما كتبوه عن فضيلة شيخنا مُحمَّد أمان الجامي -رحمه الله تعالى-:

١- ففي كتاب **سماحة مفتي عام المملكة العربية السعودية** -حفظه الله- رقم (٦٤ فِي ١٤١٨/١/٩هـ) قال عن الشيخ مُحمَّد أمان: "معروف لدي بالعلم والفضل وحسن العقيدة، والنشاط فِي الدعوة إلَى الله سبحانه، والتحذير من البدع والخرافات، غفر الله له، وأسكنه فسيح جناته، وأصلح ذريته، وجمعنا وإياكم وإياه فِي دار كرامته إنه سميع قريب".

٢- وقال فضيلة الشيخ **مُحمَّد بن علي بن مُحمَّد ثاني** المدرس بالمسجد النبوي يحفظه الله فِي كتابه المؤرخ فِي (١٤١٧/١/٤هـ): "وفضيلته عالم سلفي من الطراز الأول فِي التفاني فِي الدعوة الإسلامية، وله نشاط فِي المحاضرات فِي المساجد، والندوات العلمية فِي الداخل والخارج، وله مؤلفات مفيدة فِي العقيدة وغيرها، جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء وأجزل له الأجر فِي الآخرة إنه سميع مجيب".

٣- وقال فضيلة الشيخ الداعية **مُحمَّد عبد الوهاب مرزوق البنا** -حفظه الله- عن المترجم له: "ولقد كان -رحمه الله- على خير ما نحب من حسن الخلق وسلامة العقيدة وطيب العشرة، أسأل الله أن يتغمده برحمته ويسكنه فسيح جنته، ويجمعنا جميعًا إخوانًا على سرر متقابلين".

٤- وكتب فضيلة الشيخ العلامة **عمر بن مُحمَّد فلاته** المدرس بالمسجد النبوي ومدير شعبة دار الحديث -يحفظه الله- فِي كتابه المؤرخ

فِي (١٤١٧/٢/٨هـ) فمما جاء فيه: "وبالجملة فلقد كان -رحمه الله- صادق اللهجة عظيم الانتماء لمذهب أهل السنة، قوي الإرادة داعيًا إِلَى الله بقوله وعمله ولسانه، عف اللسان قوي البيان سريع الغضب عند انتهاك حرمات الله، تتحدث عنه مجالسه فِي المسجد النبوي الشريف الَّتِي أداها وقام بِها، وتآليفه الَّتِي نشرها، ورحلاته الَّتِي قام بِها، ولقد رافقته فِي السفر فكان نعم الصديق ، ورافق هو فضيلة الشيخ العلامة مُحمَّد الأمين الشنقيطي -رحمه الله- صاحب أضواء البيان وغيره فكان له أيضًا نعم الرفيق، والسفر هو الذي يظهر الرجال على حقيقتهم.

لا يجامل ولا ينافق ولا يماري ولا يجادل، إن كان معه الدليل صدع به، وإن ظهر له خلاف ما هو عليه قال به ورجع إليه، وهذا هو دأب المؤمنين كما قال تعالى فِي كتابه: ﴿**إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ...**﴾ [النور:٥١] الآية. وأشهد الله تعالى أنه -رحمه الله- قد أدى كثيرًا مِمَّا عليه من خدمة الدين، ونشر لسنة سيد المرسلين، ولقد صادف كثيرًا من الأذى وكثيرًا من الكيد والمكر فلم ينثن ولَم يفزع حَتَّى لقي الله، وكان آخر كلامه شهادة أن لا إله إلا الله وأن مُحمَّدًا رسول الله.

فرحمه الله رحمة واسعة ونور له فِي قبره وجزاه عما قدم لهذه الملة خيرًا كثيرًا وثوابًا جزيلاً وأصلح له عقبه وبارك فيهم، وجمعنا الله به فِي دار كرامته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك

رفيقًا وصلى الله وسلم وبارك على نبينا مُحمَّد وعلى آله وصحبه وسلم".

٥- وكتب فضيلة شيخنا العلامة الشيخ **عبد المحسن بن حمد العباد البدر** المدرس بالمسجد النبوي -حفظه الله تعالى-: "عرفت الشيخ مُحمَّد أمان بن علي الجامي طالبًا فِي معهد الرياض العلمي ثُمَّ فِي كلية الشريعة بالرياض ثُمَّ مدرسًا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة فِي المرحلة الثانوية ثُمَّ فِي المرحلة الجامعية، عرفته حسن العقيدة، سليم الاتجاه، وله عناية فِي بيان العقيدة على مذهب السلف، والتحذير من البدع وذلك فِي دروسه ومحاضراته وكتاباته غفر الله له ورحمه وأجزل له المثوبة".

٦- وكتب فضيلة الشيخ العلامة الدكتور **صالح بن فوزان الفوزان** فِي كتابه المؤرخ (١٤١٨/٣/٣هـ) قائلاً: "الشيخ مُحمَّد أمان كما عرفته": إن المتعلمين وحملة الشهادات العليا المتنوعة كثيرون، ولكن قليل منهم من يستفيد من علمه ويستفاد منه، والشيخ مُحمَّد أمان الجامي هو من تلك القلة النادرة من العلماء الذين سخروا علمهم وجهدهم فِي نفع المسلمين وتوجيههم بالدعوة إلَى الله على بصيرة من خلال تدريسه فِي الجامعة الإسلامية وفي المسجد النبوي الشريف وفي جولاته فِي الأقطار الإسلامية الخارجية، وتجواله فِي المملكة لإلقاء الدروس والمحاضرات فِي مختلف المناطق يدعو إلَى التوحيد وينشر العقيدة الصحيحة، ويوجه شباب الأمة إلَى منهج السلف الصالح ويحذرهم من المبادئ الهدامة

والدعوات المضللة.

ومن لَم يعرفه شخصيًّا فليعرفه من خلال كتبه المفيدة وأشرطته العديدة الَّتِي تتضمن فيض ما يحمله من علم غزير ونفع كثير.

وما زال مواصلاً عمله فِي الخير حَتَّى توفاه الله، وقد ترك من بعده علمًا ينتفع به متمثلاً فِي تلاميذه وفي كتبه، رحمه الله رحمة واسعة وغفر له، وجزاه عما علم وعمل خير الجزاء، وصلى الله وسلم على نبينا مُحمَّد وعلى آله وصحبه".

٧- وقال معالى مدير الجامعة الإسلامية شيخنا الدكتور **صالح بن عبد الله العبود** وفقه الله فِي كتابه المؤرخ فِي (١٥/٤/١٤١٧هـ): "بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلَى يوم الدين أما بعد:

فقد رغب منِّي الأخ الشيخ/ مصطفى بن عبد القادر أن أكتب عن الشيخ مُحمَّد أمان الجامي -رحمه الله- شيئًا مِمَّا أعرفه عنه من المحاسن لتكون من بعده فِي الآخرين، فأجبته بِهذه الأحرف اليسيرة على الرغم من أنني لَم أكن من تلامذته ولا من أصحابه الملازمين له طويلي ملاقاته ومخالطته، ولكن صار بيني وبينه -رحمه الله- لقاءات استفدت منها، وتم من خلالها التعارف وانعقاد المحبة بيننا فِي الله تعالى، وتوثيق التوافق على منهج السلف الصالح فِي العقيدة والرد على المخالفين، فمن ذلك أنه فِي

عام خمسة وتسعين وثلثمائة وألف من هجرة المصطفى ﷺ كانت بيننا وبين أناس من خارج هذه البلاد مِمَّن ابتلينا بِهم خلافات فِي العقيدة والمنهج، يريدون معارضتنا فِي عقيدتنا الإسلامية وسياسة حكومتنا الراشدة، فكتبت إلَى سماحة والدنا الشيخ عبد العزيز بن باز وغيره من علماء الدعوة فِي بلادنا أشكو من بعض هذه الأمور، فلقيت الشيخ مُحمَّد أمان فِي مكة بدار الحديث وأطلعته على ما كتبت أستشيره وأستطلع رأيه، فشد من عزمي وشرح لي بكلمة موجزة معنَى المرجعية الصحيحة وقال: إن هؤلاء العلماء فِي بلادنا من علماء الدعوة إلَى الله هم المرجع الذين يؤخذ عنهم الاعتقاد، فينبغي ألا نتردد فِي الرفع لهم عن كل مخالفة تحدث، وينبغي أن نقول لهم: أنتم مرجعنا فِي مثل هذه المسائل العقدية فإذا لَم نجدكم أو لَم تحتملونا فقدناكم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وافترقنا وأنا أحمل هذه الروح فكان لَها تأثير بأمر الله جيد، وفهمت فهمًا راسخًا كيف ينبغي أن نحافظ على سلسلة مرجعيتنا، وألا نلتفت إلَى أولئك الأجانب مهما تظاهروا به من التزيي بالعلم ولباس العلماء، وأقصد بالأجانب الأجانب عن عقيدة السلف الصالح مِمَّن تلقوا ثقافتهم وتشبعت أفكارهم بمنطق اليونان وفلسفة الفلاسفة البعيدين عن الوحي الإلهي بقسميه الكتاب والسنة، المغرورين بآرائهم وعقولهم المختلطة وشبهاتِهم المنحرفة، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا العلي العظيم.

رحم الله الشيخ مُحمَّد أمان وأسكنه فسيح جناته وألحقنا وإياه بالصالحين من أمة مُحمَّد سيد المرسلين، وصلى الله عليه وسلم وبارك على عبده ورسوله مُحمَّد وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إِلَى يوم الدين".

٨- وكتب فضيلة شيخنا الأستاذ الدكتور **مُحمَّد بن حمود الوائلي** المدرس بالمسجد النبوي والجامعة الإسلامية ووكيلها للدراسات العليا والبحث العلمي فِي كتابه المؤرخ فِي (١٤١٧/٥/٢٩هـ): "بسم الله الرحمن الرحيم ما أعرفه عن فضيلة الشيخ مُحمَّد أمان بن علي الجامي -رحمه الله- لقد طلب مني أحد تلاميذي -وهو من أخص تلاميذ الشيخ مُحمَّد أمان الجامي المتأخرين- أن أكتب شيئًا مِمَّا أعرفه عن شيخه وشيخنا الشيخ مُحمَّد أمان -رحمه الله- لأنه بصدد إخراج كتيب عن حياة فضيلته فأقول وبالله التوفيق:

بدأت معرفتي بالشيخ -رحمه الله- عام (١٣٨١هـ) عندما قامت هذه الدولة السعودية الكريْمة -حفظها الله- بإنشاء الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة فِي العام المذكور، وكان -رحمه الله- من أوائل المدرسين بها وكنت أحد طلابِها، كان -رحمه الله- من بين عدد من المشايخ الذين يولون طلاَبَهم عناية خاصة لا تقف عند علاقة المدرس بتلميذه فِي الفصل، وكان فِي عامة دروسه يعنِي عناية عظيمة بعقيدة السلف الصالح ﷺ لا يترك مناسبة تمر دون أن يبين فيها مكانة هذه العقيدة، لا فرق فِي

ذلك بين دروس العقيدة وغيرها.

وهو حين يتحدث عن عقيدة السلف الصالح ويسعى فِي غرسها فِي نفوس أبنائه الطلاب الذين جاء أكثرهم من كل فج عميق، إنَّما يتحدث بلسان خبير بتلك العقيدة؛ لأنه ذاق حلاوتَها وسبر غورها، حَتَّى إن السامع والمشاهد له وهو يتكلم عنها ليحس أن قلبه ينضح حبًّا وتعلقًا بِها، وكانت له رحلات فِي مجالي الدعوة والتعليم خارج المملكة، لا يدع مناسبة تجيء أوفرصة تمر دون أن يبين فيها سمو هذه العقيدة وصفاءها ورحابتها بيانًا شافيًا.

وإن القارئ ليلمس صدق دعوته فِي كتبه ورسائله الَّتِي ألفها.

وقد حضرت مناقشة رسالته فِي مرحلة الدكتوراه فِي دار العلوم التابعة لجامعة القاهرة بمصر، وكان يسعى فِي عامة مباحثها إِلَى بيان صفاء عقيدة السلف الصالح وسلامة منهجها، وتجلت شخصيته العلمية فِي قدرته -أثناء المناقشة- على كشف زيف كل منهج خرج عن منهج عقيدة السلف وبطلان كل دعوة صوبت نحو دعاتِها المخلصين الذين أفنوا أعمارهم فِي خدمتها والوقوف عندها والدعوة إليها ودحض كل مقالة أو شبهة يحاول أهل الباطل النيل بِها من هذه العقيدة.

وخلاصة القول: إن فضيلته -رحمه الله- كان شديد الحب لعقيدة السلف الصالح، مخلصًا فِي الدعوة إليها، متفانيًا فِي الدفاع عنها، لا يمنعه من أن يقول الحق فِي ذلك اعتراض معترض أو مقاطعة مخالف، رحمه الله وغفر لنا وله".

٩- **وكتب فضيلة الدكتور مُحمَّد بن عبد الرحمن الخميس** المدرس بجامعة الإمام مُحمَّد بن سعود الإسلامية بالرياض -وفقه الله-: "فإن فضيلة الشيخ مُحمَّد أمان بن علي الجامي -رحمه الله تعالى رحمة واسعة- كان فيما علمت من أشد المدافعين عن عقيدة السلف الصالح -رحمهم الله تعالى جميعًا- الداعين إليها، الذابين عنها فِي الكتب والمحاضرات والندوات.

وكان شديدًا فِي الإنكار على من خالف عقيدة السلف الصالح، وكأنما قد نذر حياته لهذه العقيدة تعلمًا وتعليمًا وتدريسًا ودعوة، وكان يدرك أهمية هذه العقيدة فِي حياة الإنسان وصلاحها.

كما كان يدرك خطورة البدع المخالفة لهذه العقيدة على حياة الفرد والمجتمع، فرحمه الله تعالى رحمة واسعة وغفر له ولجميع المسلمين آمين يا رب العالمين".

مِمَّا سبق من كلام بعض أهل العلم والفضل عن الشيخ مُحمَّد أمان الجامي -رحمه الله تعالى- تظهر مكانته العلمية وجهوده وجهاده فِي الدعوة إِلَى الله تعالى منذ ما يقرب من أربعين عامًا، وصلته الوثيقة بالعلماء، واهتمامه -رحمه الله- وعنايته بتقرير وبيان العقيدة السلفية والرد على المبتدعة المتنكبين صراط السلف الصالح ودحض شبههم الغوية، حَتَّى يكاد -رحمه الله تعالى- لا يعرف إلا بالعقيدة وذلك لعنايته بِها.

هذا وكانت له مشاركة فِي علم التفسير والفقه مع المعرفة التامة باللغة العربية.

● **فصل فِي ذكر بعض مؤلفاته -رحمه الله تعالى-:**

١- كتاب "**الصفات الإلهية فِي الكتاب والسنة النبوية فِي ضوء الإثبات والتنْزيه**".

وهو من أنفع كتبه -رحمه الله-، وهو من مطبوعات المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة النَّبوية، الطبعة الأولى سنة (١٤٠٨هـ).

٢- كتاب "**أضواء على طريق الدعوة إِلَى الإسلام**" ط٢، المكتب الإسلامي سنة (١٣٩٩هـ).

ويحوي عدة محاضرات وندوات فِي مواضيع فِي تقرير العقيدة السلفية أو عرض للدعوة فِي أفريقيا، أو ذكر لمشاكل الدعوة والدعاة فِي العصر الحديث مع وضع الحلول المناسبة لتلك المشاكل، أو رد على الصوفية.

٣- كتاب "**مجموع رسائل الجامي فِي العقيدة والسنة**" الناشر دار ابن رجب ط١، سنة (١٤١٤هـ).

٤- رسالة بعنوان "**الْمُحاضرة الدفاعية عن السنة الْمُحمدية**" وهي فِي الأصل محاضرة ألقاها فِي السوادان سنة (١٣٨٣هـ)، ورد فيها على الملحد محمود مُحمَّد طه، وهي من مطبوعات رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

٥- رسالة بعنوان "**حقيقة الدِّيْمُوقراطية وأنَّها ليست من الإسلام**" ن/دار ابن رجب، ط١، سنة (١٤١٤هـ)، وقد طبعت قبل سنة (١٤١٣هـ) بعنوان "**للجزيرة العربية خصوصية فلا تنبت الدِّيْمُوقراطية**". وهي فِي الأصل محاضرة ألقاها سنة (١٤١٢هـ).

٦- رسالة بعنوان "**حقيقة الشورى فِي الإسلام**" ن/دار ابن رجب، ط١ سنة (١٤١٣هـ).

٧- رسالة بعنوان "**العقيدة الإسلامية وتاريخها**" ن/دار ابن رجب، ط١ سنة (١٤١٤هـ).

● **فصل فِي ذكر بعض تلاميذه:**

رجل هذه مكانته عند ذوي العلم، وهذه جهوده فِي الدعوة إلَى الله تعالى وحبه لهذه العقيدة السلفية الخالدة الَّتِي أوذي فِي سبيل نشرها وتقريرها فِي نفوس المسلمين، سواء فِي داخل المملكة العربية السعودية أو خارجها، يصعب حصر طلبته وتلاميذه سواء من درس عليه فِي جازان أو المدينة النبوية أو باكستان أو فِي أفريقيا أو غيرها، أو من خلال دروسه بالمسجد النبوي الشريف أو مساجد جدة أو فِي المنطقة الشرقية ولكنني سوف أذكر أسْماء بعض طلبته.

١- فضيلة شيخنا الأستاذ الدكتور المحدث السلفي الذابُ عن السنة قامع البدعة **ربيع بن هادي عمير المدخلي** -حفظه الله-.

٢- فضيلة الشيخ العلامة **زيد بن هادي مدخلي** -حفظه الله تعالى- صاحب الأفنان الندية شرح السبل السوية" -حفظه الله تعالى-.

٣- فضيلة الدكتور **علي بن ناصر فقيهي** المدرس بالمسجد النبوي -حفظه الله تعالى-.

٤- فضيلة شيخنا الأستاذ الدكتور **مُحمَّد بن حمود الوائلي** المدرس

بالمسجد النبوي ووكيل الجامعة الإسلامية للدراسات العليا والبحث العلمي -حفظه الله-.

٥- فضيلة شيخنا المحدث **عبد القادر بن حبيب السندي** -شفاه الله-.

٦- فضيلة الأستاذ الدكتور **صالح بن سعد السحيمي** المدرس بالمسجد النبوي والجامعة الإسلامية -حفظه الله تعالى-.

٧- فضيلة الدكتور **بكر بن عبد الله أبو زيد** عضو هيئة كبار العلماء -وفقه الله-.

٨- فضيلة الشيخ **فالح بن نافع الحربي** مدير المعهد الثانوي في الجامعة الإسلامية -حفظه الله تعالى-.

٩- فضيلة الدكتور **صالح الرفاعي** الباحث بمركز خدمة السنة والسيرة النبوية وصاحب كتاب "الأحاديث الواردة في فضائل المدينة" -حفظه الله تعالى-.

١٠- فضيلة الدكتور **فلاح إسماعيل** المدرس بجامعة الكويت -حفظه الله تعالى-.

١١- فضيلة الدكتور **فلاح بن ثاني** المدرس بجامعة الكويت -حفظه الله تعالى-.

١٢- فضيلة الدكتور **إبراهيم بن عامر الرحيلي** عضو هيئة التدريس في الجامعة الإسلامية -حفظه الله تعالى-.

ويوجد آخرين يصعب حصرهم.

● **فصل فِي ذكر بعض أخلاقه الفاضلة:**

١- **فمن ذلك نصحه:** كان -رحمه الله تعالى- ناصحًا -فيما أحسب- لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

ويظهر ذلك بأدنى تأمل، فقد نذر حياته فِي تقرير ما يجب للرب ﷻ فِي ربوبيته وأولوهيته وأسمائه وصفاته على وفق فهم السلف الصالح، وذلك من خلال دروسه وتآليفه ومحاضراته وردوده على المخالفين للكتاب والسنة، وكان عادلا فِي رده على المخالف مجانبًا للعصبية والهوى.

٢- **قلة مخالطته للناس:** كان -رحمه الله تعالى- معروفًا بقلة مخالطته للناس إلا فِي الخير.

فأغلب أوقاته وأيامه محفوظة، وطريقته فِي ذلك معروفة؛ إذ يخرج من البيت إِلَى العمل بالجامعة ثُمَّ يعود إِلَى البيت ثُمَّ إِلَى المسجد النبوي الشريف لإلقاء دروسه بعد العصر وبعد المغرب وبعد العشاء وبعد الفجر وهكذا إِلَى أن لازم الفراش بسبب اشتداد المرض.

٣- **عفة لسانه:** كان -رحمه الله تعالى- عف اللسان لا يلمز ولا يطعن ولا يغتاب، بل ولا يسمح لأحد أن يغتاب أحدًا بحضرته، ولا يسمح بنقل الكلام وعيوب الناس إليه.

إذا وقع بعض طلبة العلم فِي خطأ طلب الشريط أو الكتاب فيسمع أو يقرأ، فإذا ظهر له أنه خطأ قام بِما يجب على مثله من النصيحة.

٤- **عفوه وحلمه:** فبقدر ما واجه من الأذى والمحن والكيد والمكر قابل من أساء إليه بالحلم والعفو.

وقد حضرته مرارًا بالمسجد النبوي أو فِي الطريق يأتيه بعض من كان ينال من عرضه بالسب أو الطعن أو الافتراء فيستسمح منه فيقول -رحمه الله-: أرجو الله تعالى ألا يدخل أحدًا النار بسببِي. ويسامح من يتكلم فِي عرضه ويقول: لا داعي لأن يأتي من يعتذر فإني قد عفوت عن الجميع، ويطلب من جلسائه إبلاغ ذلك عنه.

٥- **عنايته وتعهده بطلبته:** فقد كان -رحمه الله تعالى- من الذين يولون طلاَبهم عناية خاصة لا تنتهي بانتهاء الدرس، بل كان يحضر مناسباتِهم، ويسأل عن أحوالهم، ويقضي بعض حوائجهم، ويعالج بعض مشاكلهم الأسرية، أو بعض ما يواجهونه من مصاعب فِي هذه الحياة، وبالجملة فلقد كان يبذل ماله وجاهه ووقته لمساعدة المحتاج منهم.

وكان هذا التصرف منه يترك أثرًا بالغًا عند طلابه، فرزق بسبب ذلك المحبة الصادقة منهم.

وقد شعروا بعد موته بفراغ فِي هذه الناحية.

والحق إن الشيخ -رحمه الله تعالى- اجتمعت فيه خصال خير كثيرة لو أسهبت فِي ذكرها اتُّهمت فيه، وما نقلته آنفًا عن أهل العلم فِي ذلك كافٍ، والله أعلم.

• فصل في ذكر عقيدته السلفية:

في الحقيقة كنت مترددًا في كتابة هذا الفصل وذلك لوضوح عقيدة الشيخ السلفية ومعرفة الخاص والعام بها، ولكن لأنني أكتب فقد يقع هذا المكتوب في يدي من لا يعرف الشيخ، وكذلك جرت العادة عند كتابة التراجم ذكر عقيدة المترجم له.

• وإليك بعض ما يدل على عقيدته السلفية:

١- من خلال دروسه في جازان بالمعهد العلمي وفي الجامعة الإسلامية بمدينة النَّبي ﷺ وبالمسجد النبوي الشريف ورحلاته الدعوية في الداخل والخارج حيث درس خلالها الكتب السلفية مثل شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز، الواسطية، الفتوى الحموية الكبرى، التدمرية، الإيْمان، ثلاثة الأصول، وفتح المجيد لشرح كتاب التوحيد، وقرة عيون الموحدين، والأصول الستة، و الواجبات المتحتمات، والقواعد المثلى، وتجريد التوحيد للمقريزي.

٢- رده على أهل البدع كالأشاعرة والصوفية والشيعة الروافض وذلك في كتبه ومقالاته في المجلات العلمية وفي محاضراته ودروسه.

فانظر على سبيل المثال كتابه "أضواء على طريق الدعوة إلَى الإسلام" ط٢، المكتب الإسلامي سنة (١٣٩٩هـ).

٣- من خلال كلام أهل العلم السابق في بيان عقيدته السلفية.

● **مرضه وموته:**

لقد مرض فِي آخر عمره -رحمه الله تعالى- بمرض عضال حَتَّى أرقده الفراش نحو عام فصبر واحتسب.

وفِي صبيحة يوم الأربعاء السادس والعشرين من شهر شعبان سنة (١٤١٦هـ) أسلمت روحه لبارئها، فصلى عليه بعد الظهر ودفن فِي بقيع الغرقد بالمدينة النبوية، وشهد دفنه جمع كبير من العلماء والقضاة وطلبة العلم وغيرهم.

وبموته حصل نقص فِي العلماء العاملين فنسأل الله تعالى أن يغفر له ويرحمه ويخلف على المسلمين عددًا من العلماء العاملين آمين.

وصلِ اللهم وبارك على عبدك ورسولك نبينا مُحمَّد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

كتبها

تلميذه/ مصطفى بن عبد القادر الفلاني

سنة (١٤١٩/٣/٥هـ)

بالمدينة النبوية

ثناء العلامة عبد العزيز بن باز -رحمه الله-

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة
إدارة البحوث العلمية والإفتاء

الرقم: ٤٦٤/خ
التاريخ: ١٤١٨/١/٩
المشفوعات:
الموضوع:

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة الأبناء الكرام
أبناء صاحب الفضيلة الشيخ محمد أمان بن علي الجامي رحمه الله
رحمة واسعة وأصلح ذريته جميعاً، السلام عليكم ورحمة الله
وبركاته، أما بعد: فإني أعزيكم جميعاً في
والدكم الشيخ محمد رحمه الله معروف لدي بالعلم والفضل
وصحة العقيدة والنشاط في الدعوة إلى الله سبحانه والتحذير
من البدع والمحدثات غفر الله له وأسكنه فسيح جنته
وأصلح ذريته وجمعنا وإياكم وإياه في دار كرامته إنه سميع
قريب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مفتي عام المملكة
عبد العزيز بن عبد الله بن باز

ثناء الدكتور محمد بن علي بن محمد ثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

محمد بن علي محمد ثاني

المدينة المنورة ـ طريق المطار

بجوار محطة الحكيم سابقاً

هاتف : ٨٣٦٢٢٨٢ ـ ص.ب : ١٦٥

المملكة العربية السعودية

التاريخ ٤ / ١ / ١٤١٧هـ

الموافق / / ١٩٩ م

فضيلة الدكتور الأستاذ محمد أمان بن علي الجامي رحمه الله آمين

أعرف فضيلته من سنوات طويلة عندما كان مدرساً في جامعة الإمام

محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وعندما تخرج نزل وعمل

في مدرستنا ثم بالمعهد التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود

وعندما كان مدرساً بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة لسنوات

وعندما أخذ الدكتوراه في من جامعة الأزهر

وفضيلته عالم سلفي من الطراز الأول في النشاط في الدعوة

الإسلامية، وله نشاط في المحاضرات في المساجد والندوات

العلمية في الداخل والخارج، وله مؤلفات مفيدة في العقيدة

وغيرها. جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء

وأجزل له الأجر في الآخرة إنه سميع مجيب

٤/١/١٤١٧هـ المحب

محمد بن علي بن محمد ثاني

ثناء العلامة عمر بن محمد فلاته



كلمة موجزة سريعة

(عن فضيلة الشيخ / محمد أمان بن علي الجامي - رحمه الله -)

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين / وبعد فإن أخانا فضيلة الدكتور / الشيخ محمد أمان بن علي الجامي - رحمه الله - عرفته منذ أمد بعيد منذ أن قدم إلى هذه البلاد طالبا للعلم وراغبا في الخير وحريصا على التزود من عقيدة أهل السنة والجماعة.

عرفته في عام ١٣٧٢هـ في منزل شيخنا وقدوتنا ووالدنا فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن يوسف الافريقي - رحمة الله علينا وعليه - بالمدينة حيث كان ملازما له ومستفيدا منه فسألت عنه فأخبرت بأن المذكور دائم الحضور ما طلبه يدرس فيها ويشترك في أداء الاختبار بالمعهد العلمي والكليات التابعة لآل الشيخ.

والذي لفت نظري إليه في ذلك الحين هو سمو بيته وحرصه ونجابته وعنايته بالتحدث باللغة العربية الفصحى، واستخدامه راتبة في بعض المسائل المشكلة. الأمر الذي دل على أنه طالب علم متمكن.

ولم يمض كبير وقت حتى بلغني أن شيخنا رحمه الله قد عرض عليه بنتا من بناته ليكون زوجا لا متزوجة الشيخ / عبد الرحمن الافريقي - رحمه الله - وأنه قد عاش معها وولدت له ولدا قد توفي

وعلى هذا فقد تقوت به الصلة، وازدادت العلاقة والمحبة. وعندما فتحت الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - وإذا بفضيلة الشيخ / محمد أمان يتقدم إليها ضمن أعضاء هيئة التدريس بها. فكثر الاختلاط به وتعمقت المعرفة، الأمر الذي أدى إلى معرفته على حقيقته ومن واقع التعايش معه، والحكم عليه بالخبرة والاختلاط لا بالسماع والاستماع. علمه وعقيدته وصدق محبته للسنة.

قدم الشيخ محمد أمان إلى هذه البلاد وهو طالب علم درس في بلاده المذهب الشافعي والعقائد والعلوم التي تدرس في تلك البلاد وهي عقائد تختلف لمذهب أهل السنة والجماعة. وعندما وصل إلى المملكة عن طريق اليمن درس في دار الحديث المكية و

بسم الله الرحمن الرحيم

شعبة دار الحديث
بالمدينة المنورة
ص.ب: ٢٦٥٥
هاتف: ٨٢٢٤٤٢٢
فاكس ملي: ٨٢٦٧٦٢٥

الرقم
التاريخ
المرفقات

واستفاد من الشيوخ المدرسين بالمسجد الحرام كالشيخ / عبد الرزاق حمزة والشيخ / محمد عبد الله الصومالي، والشيخ / عبد الحق الهاشمي وغيرهم - ولما فتح المعهد العلمي بالرياض التابع لآل الشيخ التحق به - وأثناء دراسته في الكلية تعاقد معه للتدريس في فرع المعهد العلمي بصامطة

وكانت البلاد قد تأثرت بالدعوة الإصلاحية التي بدأها فضيلة الشيخ / محمد عبد الله القرعاوي وسقاها ورعاها تلميذه الشيخ / حافظ الحكمي بدروسه وتآليفه الشلقية نظما ونثرا. ووجد طلابا نجباء، حريصين على طلب العلم والازدياد من الخير فساعده ذلك بعد توفيق الله تعالى على المثابرة والانقطاع للعلم، والحرص على المزيد من التحصيل، وبرز وبرز وكرع ونهل وعل - ولما صاحب ذلك صدق الإخلاص في الطلب وعظيم الرغبة في التقوى والعمل حالفه التوفيق، وأينعت الثمرة وفقا لما قال الله تعالى (اتقوا الله ويعلمكم الله).

هذا ولقد تخرج من كلية الشريعة بالرياض، ونال درجة الماجستير من باكستان، وشهادة الدكتوراة من جامعة القاهرة. وانتدبته الجامعة الإسلامية لإدارة معهد التضامن الإسلامي بمقديشو، والقيام بالعديد من الرحلات الدعوية والأعمال الإدارية بها فقام بما أسند إليه خير قيام.

• سيرته وأخلاقه :-

وبالجملة فلقد كان رحمه الله صادق اللهجة عظيم الانتماء لمذهب أهل السنة، قوي الإرادة داعيا إلى الله بقوله وعمله ولسانه عف اللسان قوي البيان، سريع الغضب عند انتهاك حرمات الله فتحدث عنه مجالسه في المسجد النبوي الشريف التي أداها وقام بها، وتآليفه التي نشرها، ورحلاته التي قام بها. ولقد رافقته في السفر فكان نعم الصديق ورافق هو فضيلة الشيخ / العلامة محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - صاحب أضواء البيان وغيره فكان له أيضا نعم الرفيق - والسفر هو الذي يظهر الرجال على حقيقتهم. وتحدث عنه محاضراته ومحاوراته الناصعة. لا يجامل ولا ينافق، ولا يماري ولا يجادل إن كان معه الدليل صدع به، وإن ظهر له خلاف ما هو عليه قال به ورجع إليه - وهذا هو دأب المؤمنين كما قال الله تعالى في كتابه.

(إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ...... الآية)

بسم الله الرحمن الرحيم

شعبة دار الحديث
بالمدينة المنورة
ص.ب: ٢٦٥٥
هاتف: ٨٢٢٤٤٢٣
فاكسملي: ٨٢٦٧٦٣٥

الرقم
التاريخ
المرفقات

واشهد الله تعالى انه رحمه الله ـ قد ادى كثيرا مما عليه من خدمة الدين، ونشر لسنة سيد المرسلين. ولقد صادف كثيرا من الاذى، وكثيرا من الكيد والمكر فلم ينثن ولم يفزع حتى لقي الله.

ولقد ابتلي في آخر عمره بالامراض العضال فاحتسب. ولقد حدثني احد ابنائه انه قبل موته جمعهم ونصحهم، وبالغ في توصيتهم بملازمة التقوى وصلة الرحم، والحرص على العقيدة السلفية الى ان يلقوا الله عليها. وكان آخر كلامه شهادة ان لا اله الا الله وان محمد رسول الله.

فرحمه الله رحمة واسعة، ونور له في قبره، وجزاه عنا قدم لهذه الطلبة خيرا كثيرا، وثوابا جزيلا، واصلح له عقبه وبارك فيهم ـ وجمعنا الله به في دار كرامته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن اولئك رفيقا.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

عمر بن محمد فلاته
المدرس بالمسجد النبوي ومدير شعبة دار الحديث

ثناء العلامة عبد المحسن العباد

يقول عبد المحسن بن حمد العباد البدر: عرفت الشيخ محمد أمان بن علي الجامي
طالبًا في معهد الرياض العلمي ثم في كلية الشريعة بالرياض ثم مدرسًا في الجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة في المرحلة الثانوية ثم في المرحلة الجامعية، عرفته حسن العقيدة
سليم الاتجاه وله عناية في بيان العقيدة على مذهب السلف
والتحذير من البدع وذلك في دروسه ومحاضراته وكتاباته،

غفر الله له ورحمه وأجزل له المثوبة

ثناء العلامة صالح الفوزان

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة
إدارة البحوث العلمية والإفتاء
الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء

خاص مصطفى عبد القادر

الرقم:
التاريخ:
المشفوعات:
الموضوع

الشيخ محمد بن أمان الجامي كما عرفته

إن المتعلمين وحملة الشهادات العليا المتنوعة كثيرون، ولكن قليل منهم من يستفيد من علمه ويستفاد منه، والشيخ محمد بن أمان الجامي هو من تلك القلة النادرة من العلماء الذين سخروا علمهم وجهدهم في نفع المسلمين وتوجيههم بالدعوة إلى الله على بصيرة من خلال تدريسه في الجامعة الإسلامية وفي المسجد النبوي الشريف وفي جولاته في الأقطار الإسلامية الخارجية وتجوالاته في المملكة لإلقاء الدروس والمحاضرات في مختلف المناطق يدعو إلى التوحيد وينشر العقيدة الصحيحة ويوجه شباب الأمة إلى منهج السلف الصالح ويحذرهم من المبادئ الهدامة والدعوات المضللة.
ومن لم يعرفه شخصياً فليعرفه من خلال كتبه المفيدة وأشرطته العديدة التي تتضمن فيض ما يحمله من علم غزير ونفع كثير.
قدم الشيخ رحمه الله إلى المملكة في سن مبكر ودرس على علمائها الكبار من أمثال الشيخ العلامة: محمد بن إبراهيم المفتي الأكبر. والشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي والشيخ عبد العزيز بن باز. ثم لما فتح المعهد العلمي بالرياض صار من أوائل الملتحقين به للدراسة وواصل دراسته إلى أن تخرج من كلية الشريعة. وانضم بعد تخرجه في سلك التدريس في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وفي المسجد النبوي الشريف ولم يشغله ذلك عن المشاركة في الدعوة إلى الله وتأليف الكتب النافعة وما زال مواصلاً لعمله في الخير حتى توفاه الله. وقد ترك من بعده علماً ينتفع به متمثلاً في تلاميذه وفي كتبه. رحمه الله رحمة واسعة وغفر له. وجزاه عما علم وعلم خير الجزاء. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

كتبه: صالح بن فوزان الفوزان
عضو....
٢/٢/١٤١٨هـ

ثناء الدكتور صالح بن عبد الله العبود

بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible]

المحرقة [illegible] والأسماء والأصول [illegible] الإمام العلم

[illegible] مما أذكره دليلاً على أن الشيخ محمد بن إبراهيم

رحمه الله تعالى [illegible] حديث الصورة [illegible]

[illegible] على حديث الصورة [illegible] خلق الله آدم على صورته

من أن الضمير يعود إلى آدم [illegible] كلام الشيخ في

[illegible] الدرر السنية وغيره من العلماء والأئمة [illegible]

[illegible] وقال أحد [illegible]

[illegible] من تمام صفحات الدرر السنية للشيخ ابن

قاسم المذكورة وعلمت أنه رجع رحمه الله [illegible]

[illegible] من [illegible] هذه الرسالة

أيضاً أن ما ورد في رسالة المحاضرة [illegible]

السنية [illegible] من كلام [illegible] الصورة قد رجع [illegible]

إلى كلام العلماء أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره

[illegible] وأهم ما في تلك المحاضرة [illegible]

لم يرجع عنه الشيخ محمد [illegible]

رحم الله الشيخ وأسكنه فسيح جناته وألحقنا وإياه

بالصالحين [illegible] سيد المرسلين وصلى الله وسلم

وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

[illegible] الكريم

وكتبه الفقير إلى الله تعالى

صالح بن [illegible] [illegible] ١٥/٤/[illegible]

ثناء الدكتور محمد بن حمـود الوائلي

١٣

بسم الله الرحمن الرحيم

ما أعرفه عن فضيلة الشيخ: محمد أمان بن علي الجامي - رحمه الله .

لقد طلب مني أحد تلاميذي - وهو من أخص تلاميذ الشيخ محمد أمان الجامي المتأخرين - أن أكتب شيئاً مما أعرفه عن شيخه وشيخنا الشيخ محمد أمان رحمه الله لأنه بصدد إخراج كتيب عن حياة فضيلته

فأقول وبالله التوفيق:

بدأت معرفتي بفضيلة الشيخ - رحمه الله - سنة ١٣٨١هـ عندما قامت هذه الدولة السعودية الكريمة - حفظها الله - بإنشاء الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في العام المذكور وكان رحمه الله من أوائل المدرسين بها، وكنت أحد طلابها

كان رحمه الله - من بين عدد من المشايخ الذين يولون طلابهم عناية خاصة لا تقف عند علاقة المدرس بتلاميذه في الفصل .

وكان في عامة دروسه يعنى عناية عظيمة بعقيدة السلف الصالح - رضي الله عنهم - فلا يترك مناسبة تمر دون أن يبين فيها مكانة هذه العقيدة لا فرق في ذلك بين دروس العقيدة وبين غيرها

ولقد كان يتحدث عن عقيدة السلف الصالح ويسعى في غرسها في نفوس أبنائه الطلاب الذين جاء أكثرهم من كل فج عميق، إنما يتحدث بلسان خبير بتلك العقيدة، لأنه ذاق حلاوتها، وسبر غورها، حتى إن السامع والمشاهد له وهو يتكلم عنها ليحس أن قلبه ينضح حبا وتعلقا بها.

ولقد ازدادت معرفتي به - رحمه الله - عندما رتبت الجامعة الإسلامية - وفقها الله - في عام ١٣٨٣هـ رحلة إلى الحج، وكان من بين أساتذة تلك الرحلة وكنت واحداً من الطلاب الذين رافقوا تلك الرحلة

وقد أدركت تقدير الطلاب العلم، وبخاصة الجدد منهم الذين اطمأنت قلوبهم بعقيدة السلف الصالح، وفاضت نفوسهم حباً وتعلقا بها .

وكان - رحمه الله - يقوم بجولات في داخل موسم ذلك الحج، يدعو حجاج بيت الله الحرام إلى العقيدة الصافية النقية الخالية من كل شائبة أو إشكال .

ثم أصبحت بعد أربع سنوات من تلك الرحلة زميلاً له في التدريس بالجامعة وظلت المحبة في الله

قائمة بيننا ، والتعاون في مجال تحقيق أهداف الجامعة التي نشأت منها علاقة مستمرة
إلى أن أحيل - رحمه الله - إلى التقاعد عام ١٤٠٩هـ

لكن جهده لم يفتر وعزمه لم يضعف بل ازداد قوة إلى قوته وهو يلقي دروسه
في المسجد النبوي الشريف
ويلقي محاضراته في كثير من مدننا طول المملكة

وكان - رحمه الله - يبذل في ذلك كله ، يبذل ذوب قلبه في غرس العقيدة
السلفية الخالدة في نفوس مستمعيه ؛
وكانت له رحلات في مجالي الدعوة والتعليم خارج المملكة ؛ لا يدع مناسبة تحين
أو فرصة تمر دون أن يبين فيها - من هذه العقيدة - وصفا دقيقا ورعايتها بيانا شافيا

وإن القارئ ليلمس صدق دعوته في كتبه ورسائله التي ألفها ؛
وقد حضرت مناقشة رسالته في مرحلة الدكتوراه : في دار العلوم التابعة لجامعة القاهرة
بمصر .

وكان يسعى في عامة ما حررها إلى بيان صفاء عقيدة السلف الصالح ، وبسالة مرابط
وتجلت شخصيته العلمية في قدرته - أثناء المناقشة - على كشف زيف كل منهج
خرج عن منهج عقيدة السلف ، وبطلان كل دعوى صوبت نحو دعاتها المخلصين
الذين أفنوا أعمارهم في خدمتها والوقوف عندها والدعوة إليها
ودحض كل مقالة أو شبهة يحاول أهل الباطل النيل بها من هذه العقيدة

<u>وخلاصة القول ؛</u>

إن فضيلته - رحمه الله - كان شديد الحب لعقيدة السلف الصالح
مخلصاً في الدعوة إليها ، متفانيا في **الدفاع عنها** ، لا يمنعه من أن يقول الحق في ذلك
اعتراض معترض ، أو مقاطعة مخالف .

رحمه الله وغفر لنا وله .

كتبه :
محمد بن عبد الرحمن الوائلي
في ١٤١٧/٥/٢٩هـ

ثناء الدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد

فإن فضيلة الشيخ / محمد أمان بن علي الجامي رحمه الله تعالى رحمة واسعة كان فيما علمت من أشد المدافعين عن عقيدة السلف الصالح رحمهم الله تعالى جميعاً الداعين إليها، الناشرين لها في الكتب والمحاضرات والندوات، وكان شديداً في الإنكار على من خالف عقيدة السلف الصالح، وكأنما قد نذر حياته لهذه العقيدة تعلماً وتعليماً وتدريساً ودعوة، وكان يدرك أهمية هذه العقيدة في حياة الإنسان وصلاحها، كما كان يدرك خطورة البدع المخالفة لهذه العقيدة على حياة الفرد والمجتمع.

فرحمه الله تعالى رحمة واسعة وغفر له ولجميع المسلمين، آمين يارب العالمين

بقلم

د. محمد بن عبد الرحمن الخميس

كلية أصول الدين - قسم العقيدة

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

بالرياض.



تقـديـم

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحمَّدًا عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد؛ فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي مُحمَّد ﷺ، وشر الأمور محدثاتُها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وإن عقيدة التوحيد أساس هام لابد منه لصحة الأعمال وقبولها عند الله، فهي ركيزة الدين، وبها بعث الله تعالى جميع الرسل، فقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥].

وقال سبحانه عن خليله إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف:٢٦-٢٨].

وأمر سبحانه أمة محمد ﷺ أن تقتدي بإبراهيم -عليه الصلاة والسلام- والذين معه فقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة:٤].

وَنَعَتَ سبحانه من يرغب عن ملة إبراهيم -وهي التوحيد الخالص لله ﷻ- بالسفه؛ لإعراضه عن هذه الملة، وهي ملة من أسلم لله ﷻ، واصطفاه الله سبحانه في الدنيا، وكان من الصالحين في الآخرة، فقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنْ الصَّالِحِينَ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة:١٣٠-١٣١].

كما ذكر تعالى أن خليله إبراهيم وصَّى بنيه، وكذلك يعقوب بالتزام ملة التوحيد؛ لأن الله اختار لهم هذه الملة، ووصاهم أن لا يَموتوا

إلا مسلمين، فقال سبحانه: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٢].

ثُمَّ بيَّن سبحانه أن يعقوب -عليه الصلاة والسلام- سأل بنيه عندما حضره الموت عمن يعبدون من بعد موته، فأجابوا أنَّهم يعبدون إلَهَهُ وإله آبائه إلَهًا واحدًا، وهم مسلمون له -جل وعلا- فقال سبحانه: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٣].

وكذلك قال تعالى عن رسله كنوح، وهود، وصالح، وشعيب -عليهم الصلاة والسلام- أنَّهم دعوا أقوامهم بقولهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف:٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥]، [وهود:٢٦، ٥٠، ٦١، ٨٤].

وقال سبحانه عن أهل الكهف: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف:١٣-١٤].

والتوحيد ينقضه الشرك، والشرك لا يغفره الله تعالى إذا مات صاحبه مُصرًّا عليه، سواء كان شركًا بالملائكة، أو الأنبياء، أو بالكواكب، أو بالأصنام، أو ممن يزعم بعض الناس بأنَّهم صالحون أو أولياء من الأموات أو الأحياء، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨].

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا﴾ [النساء:١١٦].

وقد جعل الله جزاء نقض التوحيد والتلبس بالشرك بطلان العمل في الحياة الدنيا، يقول تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٨]. ويقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥-٦٦].

وجعل الله تعالى جزاء نقض التوحيد والشرك في الآخرة الحرمان من دخول الجنة والخلود في النار -والعياذ بالله- إذا مات العبد مُصرًّا عليه وبلغ شركه درجة الشرك الأكبر، أما إذا اقتصر على الشرك الأصغر أدخل النار فترة على قدر شركه، ثُمَّ يخرج منها بشفاعة الشافعين الذين يأذن الله لهم ويرضاهم، ويدخل بفضل الله الجنة.

يقول تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢].

وقد أخرج الإمام مسلم -رحمه الله- بسنده عن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«من لَقِيَ الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لَقِيَه يشرك به شيئًا دخل النار»**[١].

ولهذا أكد الله -جل وعلا- على رسولنا محمد ﷺ أن يتبع ملة

---

(١) أخرجه مسلم (٩٣) من حديث جابر ﷺ.

إبراهيم الخليل -عليه الصلاة والسلام- وهي ملة التوحيد واجتناب الشرك بكل ألوانه وصوره، فقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٣].

ولقد أخبرنا الله ﷻ أن المشركين وكفرة أهل الكتاب هم شر الخلق جميعًا، وأنَّهم في نار جهنم خالدون، وأن المؤمنين الموحدين هم خير الخلق جميعًا، وأنَّهم في جنات عدن خالدون، فائزون برضا الله ﷻ، فيقول سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ۝ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۝ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة:٦-٨].

ولأن الشرك بالله ظلم عظيم لقوله تعالى في وصية لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿يَابُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]. والقليل من الناس من ينجو منه، والكثير منهم في غفلة من عذاب الله، ولهذا لزم التحذير والتنفير من الشرك، وإيقاظ الغافلين ليجتنبوه، ويحرصوا على النجاة منه، فالله تعالى يقول: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ ۝ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ ۝ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٦-١٠٨].

ولذلك قيَّض الله في كل عصر ومصر طائفة منصورة من أمة رسوله

الخاتم محمد ﷺ تقوم على بيان الحق، وتهدي من ضل عنه، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتَّى يأتي أمر الله ﷻ.

وقد أخرج الإمام مسلم -رحمه الله- بسنده عن ثوبان رضي الله عنه حديثًا جاء في ختامه: «**وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة، لا يضرهم من خذلهم حتَّى يأتي أمر الله -تبارك وتعالى-**»[٢].

وحين ننظر إلى واقع المسلمين اليوم، وقد تَخَلَّوْا عن عقيدة التوحيد الَّتِي كان عليها سلفهم الصالح -رضوان الله عليهم-، نجدهم قد غزتْهم أفكار مسمومة من الداخل والخارج، وعقائد زائغة رَوَّجَهَا مبتدعون خرافيون، وأصحاب مصالح مادية، وتطلعات ومطامع دنيوية، فَلَبَّسُوا الحق بالباطل في جرأة قوية، وَشَوَّهُوا العقيدة الصحيحة، وعاثوا في الأرض فسادًا، وأخذوا يقفزون من قطر إلى قطر، حتَّى وقع في براثنهم عدد غير قليل خاصة من الشباب الجاهلين الغافلين، ففسدت حياتَهم، وأفسدوا حياة غيرهم، وعاشوا في متاهات الظلام ودياجير الضلال حيارى لا يدرون أين الطريق؟!!.

وقد وفق الله عالِمًا جليلاً هو فضيلة الشيخ الدكتور/ **محمد أمان بن علي الجامي** عميد كلية الحديث الشريف والدراسات الإسلامية، ورئيس

---

(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٥٢)، والترمذي (٢٢١٩)، وابن ماجه (٣٩٥٩) من حديث ثوبان رضي الله عنه وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٧٣).

شعبة العقيدة بقسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سابقًا، والمدرس بالمسجد النبوي الشريف حاليًا، فبذل كل جهوده في بيان الحق من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بلسانه تارة، وبقلمه تارة أخرى؛ ليبصر الناكبين عن الصراط المستقيم، وليهدي المتخبطين إلى تصحيح عقيدتهم بالبعد عن خرافات وبدع مقلدي الفرق الَّتِي انتسبت زورًا إلى الإسلام، والَّتِي مزقت الأمة الإسلامية وشتتت شمل أفرادها وهم جمع، وأجَّجت نار الخصومة والعداوة والبغضاء بينهم.

أقول: وفق الله تعالى بفضله ومَنِّه هذا العالِم الفاضل، فأخذ ينصح محاضرًا ومؤلفًا، وكان من ضمن مؤلفاته هذا المؤلَّف القيم الذي أسماه: "**العقيدة الإسلامية وتاريخها**"، فبين فيه مضمونَها وأهميتها للمسلم، كما بين سبب انصراف الناس عنها، وانقسامهم إلى فرق مختلفة صارت الأمة بِهم شيعًا وأحزابًا، وخالفوا أمر الله لهم أن لا يتفرقوا بإثارة التنازع فيما بينهم؛ إذ قال سبحانه: ﴿**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيْحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ [الأنفال:٤٦].

وبَيَّن المؤلِّف -بارك الله فيه- جُلَّ الفرق وعقائدهم الَّتِي بَعُدَت بِها عن الإسلام، كما بيَّن كيف كانت هذه الفرق وبالاً على الأمة الإسلامية قديْمًا.

بل ولا زالت تطل برءوسها في العصر الحديث لتعيد تاريخ الأمس بِما حدث فيه من الشرور والمآسي الدامية -لا قدر الله ذلك- ثُمَّ بيَّن

المؤلف -جزاه الله خيرًا- كيف ظهر دعاة صدق، وعلماء حق كسروا جمود الجامدين الضالين الذي ضلوا وأضلوا، وكشفوا عما وُريَ من الحق، فاستنار بعلمهم وبيانِهم من هَدَى الله، واندثر من حَقَّت عليهم الضلالة.

ولا يزال هذا العالِم بمؤلفات أخرى يتابع النصح ويوالي التوجيه والإرشاد -أدام الله عليه التوفيق- ليبصر المسلمين إلى خطر الانتماء إلى أي فرقة من فرق الضلال، الَّتِي نسبت نفسها بُهتانًا إلى الإسلام، فقد ظهرت في هذا العصر جماعات نبشت عن أفكار تلك الفرق الزائغة، وعدَّلت منها ما يوافق هواها وأطماعها ومصالحها، وأخذت تدعو الجاهلين الغافلين إليها زعمًا منها أنَّها أفكار الإسلام، وحسبوا أنَّهم على شيء، وظنوا أنَّهم أعطوا ذكاءً، وحصَّلوا علومًا وخبرات ما نالها أحد غيرهم بلغوا بها درجات عالية في الحضارة والرقي والتقدُّم، والحق أنَّهم أُوتوا زكاءًا ولَم يُؤتَوْا زكاءً، وأُوتوا علومًا ولَم يُؤتَوْا فُهومًا، وأُوتوا سمعًا وأبصارًا وأفئدة: ﴿**فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلاَ أَبْصَارُهُمْ وَلاَ أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾ [الأحقاف:٢٦].

وكان حصاد ما جمعوا أن أوقعهم في براثن أتباع الفرق الزائغة، والجماعات الجاهلة الحائرة، فانحرفوا وتطرفوا، وجعلوا الإرهاب وترويع الآمنين بسفك الدماء، وسلب الأموال، وهتك الأعراض، أظهر أساليبهم في فرض أفكارهم، فملئوا الأقطار رُعبًا، والنفوس ذُعرًا، حتَّى أصبح الفرد يخشى على نفسه من أخيه، وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه، وعاش الأفراد في

خوف وهلع مما يتوقعون ما يحل بِهم من مفاجأت الغدر والنكبات.

أسأل الله تعالى أن يعيد أولئك الفارين -بغواية الغاوين- مرة أخرى إلى الإسلام، ويثبت قلوبَهم عليه، ويفقههم فيه حتَّى يكونوا ممن يُصلحون في الأرض ولا يُفسدون.

كما أسأل الله -جل وعلا- أن يبارك في المؤلف الجليل، وأن يديم انطلاق لسانه بالصدق، وسيلان قلمه بالحق، وأن يجزيه عما يقدم خير الجزاء، وأن يجعله خالصًا لوجه الله الكريم، وأن يثقل به ميزان حسنات المؤلف يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه.

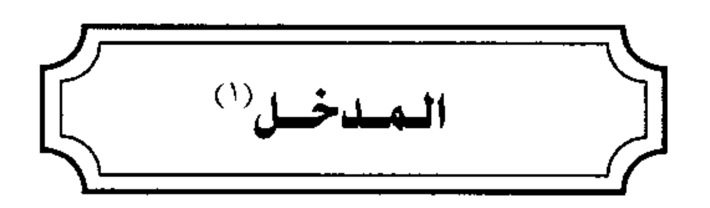
كتبه

دكتور/ سعد عبد الرحمن ندا

أستاذ بكلية الحديث الشريف والدراسات الإسلامية

بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سابقًا

ومبعوث رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد حاليًا



المـدخـل[1]

❊ **العقيدة في اللغة:**

لِهذه الكلمة عدة معان فِي اللغة:

ومِمَّا قال أهل اللغة: "عقد الحبل والبيع والعهد يعقده عقدًا: شدَّه".

قال صاحب "تاج العروس": "والذي صرح به أئمة اللغة والاشتقاق أن العقد نقيض الحل، يقال: عقده يعقده عقدًا..." إِلَى أن قال: "ثُم استعمل فِي أنواع العقود من البيوعات وغيرها، ثُم استعمل فِي التصميم والاعتقاد الجازم، وفِي اللسان: عقدت الحبل فهو معقود، وكذا العهد، ومنه عقدة النكاح".

فانطلاقًا من هذه المعانِي اللغوية؛ فإن العقيدة الإسلامية هي: **تصميم القلب والاعتقاد الجازم الذي لا يُخالطه شك فِي المطالب الإلهية، والنبوات، وأمور المعاد، وغيرها مِمَّا يَجب الإيْمان به.**

❊ **المطالب الإلهية:**

ونعني بـ"المطالب الإلهية": الإيْمان بالله فِي ربوبيته وألوهيته، والإيْمان بأسْمائه وصفاته وغير ذلك مِمَّا يَجب الإيْمان به.

---

(١) ملحوظة:

تخريج الأحاديث الَّتِي بداخل الكتاب ليست من عمل الشيخ -رحمه الله-.

فيجب على العبد أن يؤمن بوجود الله الحقيقي الإيْمان اليقينيّ، غير شاك بأن الله فوق جَميع مَخلوقاته بذاته، كما يليق به سبحانه، وعلى الكيفية الَّتي لا يعلمها العباد، إذ لا يعلم كيف هو إلا هو، ومع ذلك لا يخلو مكان من علمه تعالى، بل هو مع جَميع مخلوقاته بعلمه وسمعه وبصره وبِجميع معانِي ربوبيته على الوجه الذي يليق به، إذ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وهو سبحانه خالق كل شيء وحده، ومدبر الأمور وحده؛ إذ يدبر الأمر من السماء إلَى الأرض، وهو بكل شيء عليم، أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا.

فإيْمان العباد بِهذه المعانِي من معانِي الربوبية، أي: إفراده سبحانه فِي ربوبيته؛ كما فطر العباد على ذلك، يُلزمهم هذا الإيْمان أن يُفردوه بأفعالِهم كما انفرد هو بأفعاله؛ بِحيث يدعونه وحده سبحانه، ولا يشركون به شيئًا، بل لا يعلقون قلوبَهم إلا به، ولا يلتفتون إلَى أحد سواه بالمحبة والخضوع والتذلل، بل لا يستحق كل ذلك إلا هو سبحانه: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَ يَخْلُقُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:١٧].

ويثبتون له ما أثبت لنفسه، أو أثبته له رسوله الأمين ﷺ، الذي أمنه على وحيه ودعوة الناس إليه وحده.

ويدخل فِي المطالب الإلهية الإيْمان بقدر الله السابق وقضائه النافذ، وأنه ما شاء الله كان وما لَمْ يشأ لَمْ يكن.

وأن ما أصاب العبد فِي علم الله لا يُخطئه، وما أخطأه فِي علمه لا

يصيبه؛ إذ لا يقع شيء في ملكه دون قدره وقضائه وفعله.

وذلك لقوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة:٥١].

وقوله تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر:٢].

والآيات والأحاديث في وجوب الإيْمان بالقدر والقضاء كثيرة جدًّا كما لا يَخفى، وهذا المقدار الذي ذكرناه يكفي في الإيْمان بالقدر، مع الكف عن الخوض في أسرار الرب تعالى في قدره وقضائه وأفعاله الَّتِي لا تصدر إلا عن حكمة؛ فكما لا يَجوز السؤال عن كيفية صفاته تعالى بـــ"كيف"؛ كذلك لا يجوز السؤال عن أسرار قدره وقضائه بـــ"ماذا" أو بـــ"لِمَ"؛ فلا يَجوز للمؤمن أن يقول: لِمَ خلق الله هذا، ولِمَ أعطى فلانًا ومنع فلانًا؛ مثلاً، بل يَجب الإيْمان بأنه سبحانه لا يَخلق ولا يرزق ولا يعطي ولا يَمنع ولا يُحيي ولا يُميت إلا لحكمة، وليس ذلك لِمجرد تعلق الإرادة بالمفعول كما يزعم بعض أهل الكلام ذلك "وهم الأشاعرة الكلابية".

وقد ثبت عن غير واحد من السلف الصالح قولهم: "القدر سر الله، فلا نكشفه"؛ فالتعرض لِهذا السر الإلهي مزلة الأقدام، ومن أسباب الزيغ والضلال؛ فليحذر كل الحذر.

ومِمَّا يدخل فِي المطالب الإلهية: الإيْمان بِملائكته جُملة وتفصيلاً؛

تصديقًا لخبر الله تعالى، وهم جنود الله فِي سَمواته وأرضه، موظفون فِي مُختلف الوظائف: ﴿لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦].

كما يدخل فِي المطالب الإلهية: الإيْمان بكتبه الْمُنَزَلة على رسله بالهدى ودينِ الحق، وأن تلك الكتب من كلام الله تعالى حقيقة، وأن كلام الله لا نفاد له.

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان:٢٧].

﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف:١٠٩].

وغير ذلك مِمَّا يَجب الإيْمان به من جزيئات هذا الباب العظيم.

❊ النبوات:

نعني بالإيْمان بالنبوات: الإيْمان برسل الله تعالى جُملة وتفصيلاً، والإيْمان بنبينا مُحَمَّد ﷺ بصفة خاصة، وأنه خاتم الأنبياء، وأن الأعمال لا تقبل من أحد إلا إذا جاءت موافقة لهديه ﷺ، وأنه هو إمام المرسلين، وسيد الناس أجْمعين، صاحب الرسالة العامة إلَى جَميع الثقلين الجن والإنس، وأنه يَجب تصديقه فِي كل ما أخبر به، وطاعته فيما أمر به، مع الانتهاء عمَّا نَهى عنه؛ إذ طاعته من طاعة الله، ومعصيته من معصية الله.

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ۝٣ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم:٣-٤].

ومن معانِي الإيْمان بالرسل ألا يُعبد الله إلاَّ بِما جاء به ﷺ، وأن

يشهد له أنه بلغ رسالة ربه كاملة دون أن يكتم منها شيئًا فِي نصح تام دونه كل نصح، وأنه أمينه على وحيه، وقد أدى تلك الأمانة على أكمل وجه.

وقد شهد له أصحابه بذلك فِي أعظم اجتماع تاريخي فِي حجة الوداع، إذ سألَهم الرسول سؤالاً مثيرًا، وأجابوا بجواب يثلج الصدر ويبرد القلب، قال لَهم فِي آخر خطبة يوم عرفة وهم فِي وادي عرفة بجوار عرفة، تلك الخطبة الحافلة بكثير من التوجيهات والتعليمات النبوية الرحيمة، ونص السؤال هكذا: «**أنتم مسئولون عنِّي، ماذا أنت قائلون؟**. وكان الجواب: نشهد أنك بلغت ونصحت»[1].

الله أكبر! ما أعظمه من جواب! ملؤه الإيْمان الصادق، فرضي الله عن أصحاب رسول الله ﷺ.

ونَحن نشهد كشهادتِهم: أنه ﷺ بلغ رسالة ربه، ونصح لأمته، فما من شيء يقربُهم إلَى الله إلا بيَّنه لَهم ودعاهم إليه ورغبهم فيه، وما من شيء يبعدهم عن الله إلاَّ بيَّنه لَهم ونَهاهم عنه وحذرهم منه -عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام-.

هذا بالجملة ما نعنيه بالإيْمان بالنبوات مع الإيْمان بآيات الرسل الَّتِي تعرف عند علماء الكلام بـــ"المعجزات"، وهي أمور خارقة للعادة، يظهرها الله على أيدي الأنبياء؛ تصديقًا لَهم وتثبيتًا.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٩٠٥)، وابن ماجه (٣٠٧٤) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

❊ الإيمان بالمعاد:

وأما الإيْمان بأمور المعاد؛ فنعني به: الإيْمان بالبعث بعد الموت، وإعادة الحياة الحقيقية إلَى الأجساد، وما يتبع ذلك مِمَّا يَجري فِي عرصات القيامة وفِي الحياة الآخرة، بدءًا من البعث بعد الموت، وانتهاءً إلَى الجنة ونعيمها الدائم الذي لا يزول، أو إلَى النار وعذابِها الدائم الذي لا ينتهي.

إذ يعيش الإنسان فِي هذه الحياة الدنيا وهو يكدح كدحًا سوف يلاقيه، ولا يذهب شيء سدى، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

﴿**يَأَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاَقِيهِ**﴾ [الانشقاق:٦].

فيجب الإيْمان بتلك الحياة الآخرة بكلٍّ ما فيها، وأنَّها حياة حقيقية كهذه الحياة الدنيا، بل هي أكمل؛ لأنَّها دائمة بإدامة الله إياها.

كما يَجب الإيْمان بالبرزخ الفاصل بين الحياتين، بين الحياة الدنيا وبين الحياة الآخرة.

فالعقيدة تعنِي: إيْمان القلب بِهذه المعانِي وغيرها مِما يَجب الإيْمان به، وهو جانب مهم من جوانب الإيْمان، وعنصر هام من عناصر الإيْمان، وهناك إيْمان عملي وإيْمان قولي كما هو معروف.

هذا موجز ما يَجب الإيْمان به من أمور المعاد.

فمجموع هذه الأمور: الإيْمان بالمطالب الإلهية على ما ذكر، والإيْمان بالنبوات بالتفصيل السابق، ثُمَّ الإيْمان بأمور المعاد كما أوجزنا.

فهذا الإيْمان المفصل هو العقيدة الإسلامية الَّتِي نَحن بصدد الحديث عنها.

من هنا نعلم أن العقيدة هي الإيْمان بالله وبِما يَجب لله ﷻ من صفات الكمال، وتنْزيهه عن النقائص وما لا يليق به؛ كالشريك، والصاحبة، والولد، والوزير، والمعين، ومن يتصرفون معه فِي هذا الكون ... إلَى آخر ما سبق تفصيله.

وهذا التصور الشامل والكامل -إن شاء الله- للعقيدة الإسلامية يردُّ ظن الذين يزعمون أن الاهتمام بالعقيدة ودراستها أمر ثانويٌّ، أو نوع من ترف المعرفة، يشتغل به أفراد من الذين لديهم نَهمة فِي المعارف الزائدة ونوافل العلوم.

فعلى هؤلاء أن يعيدوا النظر فِي ظنهم هذا -والظن أكذب الحديث-، ولو أعادوا النظر وأنصفوا مع أنفسهم؛ لأدركوا أن العقيدة -كما شرحنا قبل- علم ضروري، لا يستغني عنه مسلم ما، فإذا ثبت أنَّها الإيْمان بالله وحده وبكلماته وتصديق أخباره وأخبار رسله كما أسلفنا التفصيل؛ فلا يُمكن الاستغناء عنها؛ إلا إذا أمكن الاستغناء عن الإيْمان نفسه.

إلا أن التوسع فِي مسائل العقيدة، ومعرفة أنواع الشبه الَّتِي قد ترد على بعض مسائل العقيدة، والتضلع فِي ذلك، ومعرفة الفرق الَّتِي انْحرفت فِي باب العقيدة، والقدرة على ردِّ شبههم؛ إن ذلك فرض كفاية، إذا قام به بعض أفراد العلماء المتخصصين وأصحاب المواهب الخاصة؛ فيُغني ذلك الآخرين عن الاشتغال بالتوسع وما عطف عليه، بِحيث لا يأثمون بترك ذلك.

أما أصل العقيدة؛ فمعرفتها فرض عين، وأمر لابدَّ منه لكل أحد كما قلنا، بل هي أساس الدين؛ فالتقصير فِي ذلك المقدار تقصير فِي الإيْمان على ما تقدم..

ولا شكَّ أن ما يَجب على من تصدى لتعليم الناس وما يَجب على المفتِي والقاضي وكل من لَهم شأن فِي هذا الباب غير ما يَجب على عامة الناس وجُمهورهم؛ كما أوضح ذلك شيخ الإسلام فِي بعض كتبه -رحِمه الله-.

وهكذا يقال فِي سائر العلوم الشرعية من الأحكام الفقهية وعلوم الحديث والتفسير ... وغيرها.

فعلم العقيدة أول ما يجب على كل مسلم ومسلمة، بل هو من أوجب العلوم وأشرفها.

كيف لا وشرف العلم بشرف المعلوم، ومعلوم هذا العلم هو الله تعالى بصفاته وأسْمائه، ومعرفة حقه تعالى الواجب على العباد، وما يتبع ذلك من مسائل هذا الباب العظيم الَّتِي تقدم شرحها وبيانُها.

ومسائل هذا الباب هي الَّتِي أرسلت الرسل من أجلها، ولَها أنزلت الكتب عليهم، وهي خير ما اكتسبته القلوب وأفضله وأحبه وأنفعه.

فعلى أولي الألباب أن يتسابقوا فِي معرفة مسائل العقيدة جُملة وتفصيلاً؛ كل واحد فِي حدود استطاعته؛ إذ لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

وبعد؛ هذه هي العقيدة الإسلامية بنوع من الاختصار؛ فأرجو ألا يكون مُخلاً، مع نبذة من مكانتها ومنْزلتها. وبالله التوفيق.

تاريخ العقيدة الإسلامية

وأما تاريخ العقيدة الإسلامية؛ فضارب فِي أعماق الدهور والعصور؛ إذ ما من نبي أرسل؛ إلا صدر دعوته بالعقيدة وجعلها زبدة رسالته.

يقول الله ﷻ لنبيه وخاتم رسله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

وهذا يعني أن الأنبياء -عليهم السلام- جَميعًا كانوا يستفتحون دعوتَهم إلَى الله تعالى بإصلاح العقيدة قبل كل فضيلة يدعون إليها.

لذا نَجد فِي سورة كهود مثلاً عددًا من الرسل -عليهم السلام- افتتحوا دعوتَهم لأقوامهم إلَى الله بالدعوة إلَى العقيدة وإصلاحها وإلَى معنى كلمة الإيْمان وكلمة الإسلام وأصل العقيدة "لا إله إلا الله"

بدءًا من نوح ﵇، وهو أول الرسل إلَى أهل الأرض بعد وقوع الشرك فِي قومه:

يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ أَن لاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [هود:٢٥-٢٦].

ويقول ﷻ: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ

إِلَهٍ غَيْرُهُ إِن أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ﴾ [هود:٥٠].

وفي السياق نفسه وبالأسلوب ذاته يقول الله ﷻ في شأن صالح عليه السلام وقومه: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود:٦١].

ثُم يواصل السياق الكريم ليقول الله فيه عن شعيب عليه السلام وقومه: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ [هود:٨٤].

ويقول الله تعالى في سياق آخر وفي سورة أخرى في محاجة يوسف عليه السلام لصاحبي السجن: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:٣٩-٤٠].

.... هكذا يوضح كتاب الله تعالى تاريخ العقيدة الإسلامية عبر التاريخ الطويل مع أنبيائه ورسله، وأنه قد كانت العقيدة مفتاح دعوتهم، وذلك يعني أن الأنبياء -عليهم السلام- دينهم واحد، وهو الإسلام: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ﴾ [آل عمران:١٩]. بعقيدته وأصوله، وإن اختلفت شرائعهم ومناهجهم، إذ جعل الله سبحانه -حكمةً منه- لكل

نبي شرعة ومنهاجًا يناسب قومه وأحوالَهم وظروفهم وأزمانَهم، يقول الله تعالى: ﴿وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨].

فأمر العقيدة أمر ملازم للبشرية منذ هبط آدم أبو البشر إِلَى الأرض؛ فهو ملازم للبشرية عبر تاريخها؛ كما رأيت.

وكذلك فقد بيَّن كتاب الله بأن الله استخرج ذرية بَنِي آدم من ظهورهم، وذلك بعد أن استخرج ذريَّة آدم من صلبه؛ كما ثبت بالسنة، وخاطبهم جَميعًا وهم فِي عالِم الذَّرِّ، وأشهدهم على أنفسهم بأن الله ربُّهم وخالقهم، وأنه لا إله إلا هو. قال الله -عز من قائل-: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف:١٧٢].

وعلى الرغم من هذه العقيدة التاريخية الموحدة بين جَميع رسل الله؛ فقد وجدت فِي التاريخ فرق مُختلفة فِي عقائدها وأصول دينها أحيانًا، ومناهجها أحيانًا، وأسلوب دعوتِها أحيانًا، وهذا ما سنتناوله فِي الفصول الآتية.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

الفرق التي تكلمت في أصول الديانات

وقد تكلمت فِي أصول الديانات فرق مختلفة الاتجاه، وهي تنقسم إِلَى قسمين:

* **القسم الأول:** وهي الفرق الَّتِي تكلمت فِي الديانات وهي لا تنتسب إِلَى ملة الإسلام، وأهمها:

١- اليهودية. ٢- النصرانية. ٣- الدهرية.

٤- الثنوية "هم القائلون بالأصلية: النور والظلمة".

٥- المجوسية "وهم عباد النار".

٦- الصابئة. ٧- الهندوكية. ٨- البوذية.

٩- الزنادقة "وهم طوائف من القرامطة الباطنيين.

١٠- الفلاسفة بِجميع فرقهم "وهم عشاق الحكمة فِي زعمهم؛ لأن لفظة "فيلو" معناه: مُحب الحكمة، ويسمون كبارهم: الحكماء، بينما يسمون بقية الناس: عوامًّا ولو كانوا أهل العلم والمعرفة".

هذا هو اصطلاح الفلاسفة وهم قوم أنانيون كما ترى.

* **القسم الثاني:** وهي الفرق الَّتِي تكلمت فِي الديانات وهم ينتسبون إِلَى الإسلام.

إذا تحدثنا بإيْجاز عن بعض الفرق الَّتِي تكلمت فِي الديانات وهم

لا ينتسبون إِلَى ملة الإسلام؛ فلنتحدث بإِيْجاز أيضًا عن الفرق المنتسبة إِلَى الإسلام.

وأما المسلمون؛ فقد كانوا مُجتمعين ومتفقين غير متفرقين فِي أصول دينهم، وقد مضى عصر الصحابة وهم على ذلك، لا يعرفون للاختلاف فِي العقيدة وأصول الدين معنى أبدًا، بل كانوا أمة واحدة.

روى أبو عبيد الله الحاكم عن الأوزاعي -وهو من كبار أئمة أتباع التابعين من أقران الإمام مالك بن أنس رحِمهما الله-: "كنا -والتابعون متوافرون- نقول: إن الله ﷻ فوق عرشه، ونؤمن بِما وردت به السنة من صفاته".

ومِمن روى الإجْماع على هذا المنهج: الإمام مُحَمَّد بن الحسن صاحب أبِي حنيفة، والإمام ابن عبد البر -رحِمهما الله-، بل تفيد جميع المصادر فِي هذا الموضوع أن وضع العقيدة كان مستمرًّا على نَهج موحد من عهد الصحابة إِلَى عهد الخليفة السابع من خلفاء بني العباس "المأمون".

وفِي هذا المعنى يقول الإمام البيهقي -رحِمه الله-: "ولَم يكن من خلفاء بني أمية وبني العباس خليفة؛ إلا على مذهب السلف ومنها جهم، ولَمَّا تولى المأمون الخلافة؛ اجتمع به هؤلاء المعتزلة؛ فحملوه على نفي الصفات والقول بخلق القرآن" اهـ.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊



ظهور الفرق

مضى عصر الصحابة الكرام -عليهم رضوان الله-، وهم مُجتمعون على نَهج واحد، وهو العمل بالكتاب والسنة عقيدة وشريعة، وكذلك التابعون الذين ورثوا علم الصحابة.

بيد أنه قد حدث فِي أواخر أيام الصحابة القول بالقدر. كما ظهرت الخوارج فِي أيامهم، وتشيعت الشيعة.

هذه الفرق الثلاث ظهرت فِي أواخر أيام الصحابة فِي عهد علي ابن أبِي طالب ﷺ.



١- الخوارج أو الحرورية

تعتبر فرقة الخوارج أول فرقة ظهرت فِي أيام الصحابة، وفِي عهد علي بن أبِي طالب ﷺ بالتحديد، بعقيدتِهم الجريئة المتطرفة فِي الجرأة، واتِّجاههم الشاذ المنفرد، حيث اعتبروا عدم ارتكاب الكبائر أصلاً من أصول الدين والإيْمان؛ فانطلاقًا من ذلك صرَّحوا بكفر مرتكب الكبيرة كفرًا بواحًا ناقلاً من الملة، كما صرحوا بِجواز الخروج على الإمام، بل كانوا يعتبرون أنه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

❋ قصة خروجهم:

وقد ذكر بعض أهل العلم أنه لما خرجت الخوارج أو الحرورية؛ اجْتمعوا فِي دار لَهم أو لبعضهم فِي ضاحية البصرة فِي مكان يقال له: "الحروراء" وعددهم ستة آلاف مقاتل، وأخذوا يتهيئون للقتال مع علي ﷺ، فطلب عبد الله بن عباس ﷺ من علي بن أبِي طالب الإذن ليخرج إليهم ليحاورهم لعلهم يرجعون إلَى الحق، فقال علي لابن عباس: إنِّي أخاف عليك. فقال ابن عباس: كلا.

ثُم قال ابن عباس: فخرجت إليهم وأنا لابس أحسن ما يكون من حلل اليمن.

قال أبو زميل –رواي القصة–: كان ابن عباس رجلاً جَميلاً جهيرًا.

يقول ابن عباس: فخرجت إليهم، وأتيتهم وهم مُجتمعون فِي دار لَهم بالحروراء، فسلمت عليهم، فقالوا: مرحبًا بك يا ابن عباس؛ فما هذه الحلة؟

قال: قلت: ما تعيبون علي؟ لقد رأيت على رسول الله ﷺ أحسن ما يكون من الحلل، وتلوت عليهم قوله تعالى: ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ**﴾ [الأعراف:٣٢].

قالوا: ما جاء بك؟

قلت: أتيتكم من عند صحابة رسول الله ﷺ، من المهاجرين والأنصار؛ لأبلغكم ما يقولون؛ فعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بالوحي منكم، وفيهم أنزل، وليس فيكم منهم أحد.

فقال بعضهم: لا تُخاصموا قريشًا؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿**بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ**﴾ [الزخرف:٥٨].

قال ابن عباس: ورأيت قومًا لَمْ أر قط أشد اجتهادًا منهم، وجوههم من السهر، كأن أيديهم وركبهم تثنى عليهم.

فمضى من حضره، قال بعضهم: لنكلِّمنَّه ولننظرنَّ ما يقول.

قلت: أخبرونِي ماذا نقمتم على ابن عم رسول الله ﷺ وصهره والمهاجرين والأنصار؟

قالوا: ثلاثًا.

قلت: ما هنَّ؟

قالوا: إحداهنَّ: فإنه حكم الرجال فِي أمر الله، وقال الله تعالى: ﴿**إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ**﴾ [الأنعام:٥٧]. وما للرجال وما للحكم؟!

قلت: هذه واحدة.

قالوا: وأما الأخرى؛ فإنه قاتل ولَمْ يسب ولَمْ يغنم؛ فلئن كان الذين قاتل كفارًا؛ لقد حل سبيهم وغنيمتهم، ولئن كانوا مؤمنين؛ ما حلَّ قتالهم!

قلت: هذه ثنتان، فما الثالثة؟

قالوا: إنه مَحا نفسه من أمير المؤمنين؛ فهو أمير الكافرين.

قلت: أعندكم سوى هذا.

قالوا: حسبنا هذا.

فقلت لَهم: أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله ومن سنة رسوله ﷺ ما يُرَدُّ به قولكم؛ أترضون؟!

قالوا: نعم.

فقلت لَهم: أما قولكم: حكم الرجال فِي أمر الله، فأنا أقرأ عليكم ما قد ردَّ الله حكمه إلَى الرجال فِي ثَمن ربع درهم فِي أرنب ونَحوها من الصيد، فقال الله تعالى: ﴿**يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ**﴾ [المائدة:٩٥].

ثُم قال: وأنتم تعلمون أن الله لو شاء لحكم ولَمْ يَجعل ذلك إلَى الرجال.

وفي المرأة وزوجها قال الله تعالى: ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا**﴾ [النساء:٣٥].

فجعل حكم الرجال سنة مأمونة، أخرجت من هذه؟

قالوا: نعم.

قال: وأما قولكم: قاتل ولَمْ يسب ولَمْ يغنم؛ أتسبون أمكم عائشة، ثُم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها؟ ولئن قلتم: نعم؛ كفرتم، وهي أمكم، ولئن قلتم: ليست أمنا؛ لقد كفرتم؛ فإن الله يقول: ﴿**وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ**﴾ [الأحزاب:٦]. فأنتم تدورون بين الضلالتين: أَيُّهما صرتم إليها؛ صرتم إلَى ضلالة.

فنظر بعضهم إلى بعض.

قلت: أخرجت من هذه؟

قالوا: نعم.

قال: وأما قولكم: محا نفسه من أمير المؤمنين؛ فأنا آتيكم بِمن ترضون وأريكم، قد سَمعتم أن النَّبِي ﷺ قال لأمير المؤمنين: «**اكتب يا عليُّ: هذا ما اصطلح عليه مُحَمَّد رسول الله**، فقال المشركون: لا والله ما نعلم أنك رسول الله، ولو نعلم أنك رسول الله؛ ما قاتلناك. فقال رسول الله ﷺ: **اللهم إنك تعلم أنِّي رسول الله، اكتب يا عليُّ: هذا ما اصطلح عليه مُحَمَّد بن عبد الله**». فوالله لرسول الله خير من علي، وما أخرجه من النبوة حين محا نفسه.

قال ابن عباس: فرجع من القوم ألفان، وقُتِلَ سائرهم على ضلالته[١].

قال الحاكم: "هذا حديث على شرط مسلم، ولَمْ يُخرجه"اهـ.

وعلى الرغم من ذلك؛ فقد دخل فِي دعوة الخوارج خلق كثير، ورمي جَماعة من أئمة الإسلام بأنَّهم ذهبوا مذهب الخوارج، وعدَّ منهم غير واحد من رواة الحديث كما هو معروف عند أهله.

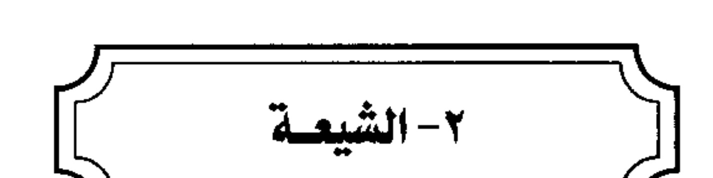
هكذا يفعل سوء الفهم وعدم التريث وقلة البصيرة بأهله.

وقد ظن الخوارج أنَّهم على شيء فيما ذهبوا إليه عندما خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبِي طالب وقاطعوا المهاجرين والأنصار الذين نطق بِهم القرآن وبه نطقوا، وقام بِهم القرآن وبه قاموا، وهم خير هذه الأمة، حَتَّى حاورهم حبرُ الأمة وترجمان القرآن بِما رزقه الله تعالى من الفقه فِي الدين، وأثبت لَهم خطأهم بِما ساق من الأدلة من الكتاب والسنة؛ فقد تاب على يده عدد لا يستهان به، ألفان من ستة آلاف مقاتل يتهيئون لخوض المعركة، ولكن الله سلَّم، حيث تاب الله عليهم فتابوا، وهلك الباقون بعد إقامة الحجة عليهم بالأدلة الَّتِي ساقها ابن عباس رضي الله عنهما، الذي بذل لَهم من النصح والإرشاد والدعوة إلَى الحق بالأسلوب الذي ذكرنا.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) أخرجه الحاكم في "المستدرك" (٢/١٦٤).



٢- الشيعة

الشيعة: من الفرق الَّتِي ظهرت فِي أواخر أيام الصحابة، وفِي عهد الإمام علي ﷺ بالتحديد، والَّتِي بدأت غلوها بِحب علي بن أبِي طالب والتشيع له إلَى حد المبالغة، والَّتِي انتهت ببعضهم إلَى تأليهه وعبادته، مِمَّا حدا بعليٍّ إلَى إحراق جَماعة منهم بالنار، حيث لَمْ يَجد بدًّا من ذلك؛ إذ لَمْ يؤثر فيهم الإنكار الشديد والمتكرر فأنشد علي فِي ذلك قائلاً:

لَمَّا رأيت الأمر أمرًا منكرًا   أججت ناري ودعوت قنبرا

وقد انتهز هذه الفرصة -فرصة تشيع الشيعة والغلوِّ فِي أمير المؤمنين علي بن أبِي طالب ﷺ- يَهودي خبيث يدعي عبد الله بن وهب بن سبأ، وهو من اليهود الذين كانوا بصنعاء باليمن؛ فأخذ يؤجج نار الفتنة بين المسلمين، وأحدث القول بوصية رسول الله ﷺ لعلي بالإمامة من بعده، وأنه خليفته على أمته بالنص؛ كما أحدث القول بالرجعة، أي: برجعة الإمام علي ﷺ بعد موته إلى الدنيا، بل زعم أن عليًّا لَمْ يقتل، بل لا يزال حيًّا، بل لا يمكن أن يَموت؛ لأنه فيه الجزء الإلهي، وأنه هو الذي يأتِي من السحاب، فيكون الرعد صوته ... إلَى آخر تلك الخرافات الَّتِي تَحكيها بعض مصادر القوم ومن تأثروا بِهم، حَتَّى عرفت هذه العقيدة

عندهم بعقيدة الرجعة، أحدثها اليهودي ابن سبأ كيدًا للإسلام والمسلمين، بعد أن ادَّعى أنه مسلم، وأنه متشيع لآل البيت، ومُحب لَهم، وأما آل البيت الطيبون؛ فبريئون منه، ثُم تبنى هذه العقيدة الفاسدة الروافض، وابن سبأ مصدر كل عقيدة منحرفة ترددها الروافض اليوم.

هذا؛ والكلام حول هذه الفرقة طويل الذيل، وقد كتبت فيهم كتابات كثيرة، وكلها أو جلها معاصرة؛ لذا أرى أن أكتفي بِهذه الإشارة، اكتفاء بِما كتب، حيث إنِّي لن آتي بجديد.

ومِمَّا ينبغي التنبيه عليه هنا أن الشيعة بِجميع فرقها على عقيدة الاعتزال فِي باب الأسْماء والصفات. والله أعلم.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊



٣- القدرية

ومن الفرق الَّتِي ظهرت فِي أيام الصحابة -رضوان الله عليهم- القدرية.

فإذا أطلقت القدرية؛ فالمراد بِها نفاة القدر، وهم أتباع معبد الجهني.

وقد تطلق هذه اللفظة أحيانًا على الغلاة فِي إثبات القدر، والذين بلغ بِهم من الغلو فِي القدر إِلَى القول بأن العبد مَجبور على أعماله الاختيارية، يفعلها دون اختياره، بل لا قدرة له على أعماله، وهم المعروفون بالجبرية، وقد يطلق عليهم اسم القدرية.

نادى معبد الجهني بعقيدة القدرية لأول مرة فِي البصرة فِي أواخر أيام الصحابة، فنفى علم الله السابق وكتابه ومشيئته العامة، وصرح بأن الله لَمْ يعلم المَقادير إلا بعد وقوعها، فضلاً عن أن يكتبها أو يشاءها، بل العباد يستأنفون أعمالَهم من عند أنفسهم، أي يعملونَها دون علم من الله بتلك الأعمال؛ إلا بعد أن يحدثها العباد، فلا تعد أفعال العباد من مقدورات الله ﷻ، وإنَّما يَختلفون: هل الله قادر على مثل أعمالِهم أم لا؟ وهكذا بالغوا فِي نفي القدر، كما بالغوا فِي إثبات قدرة العبد، حَتَّى جعلوه خالقًا من دون الله ﷻ، حيث يستقل كل عبد بِخلق أفعاله دون أن تتدخل قدرة الله فِي أفعاله الاختيارية.

وهذه عقيدة شاذة ومنكرة عقلاً وشرعًا ومنطقًا، وهي فكرة

دخيلة؛ لأن معبدًا الجهني الذي أظهرها إنَّما أخذها من شخص مَجهول يقال له: أبو يونس الأساوري، فتبناها معبد وعظمت به الفتنة فِي البصرة وما جاورها؛ فعذَّبه الحجاج ابن يوسف الثقفي بأمر من عبد الملك بن مروان الأموي، وكان ذلك سنة ثَمانين من الهجرة.

❊ **موقف بعض الصحابة الذين حضروا هذه البدعة:**

ولما ظهرت بدعة القدرية؛ بادر علماء السلف من الصحابة والتابعين إلَى إنكار بدعة القدرية، والتحذير منها، والتبرؤ منها ومن أهلها، وذموها، وبينوا للناس خطورتَها على الإيْمان بالله تعالى؛ لأن الإيْمان بالقدر نظام التوحيد، ومن كفر بالقدر؛ فقد نقض توحيده.

هذا، وذكرت بعض مصادر التاريخ والسير أن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما لما بلغته مقالة معبد الجهني؛ تبرأ منه ومن قولته المنكرة، وأعلن ذلك للناس، ونقل مثل ذلك عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، بل تَمنى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن لو تَمكن من أحد منهم، حَتَّى يُدخِل رقبته فِي يده، فيدقها حَتَّى الموت، أو يَجدع أنفه على الأقل، وكان يومئذ قد عمي، كلُّ ذلك غيرة منه على دين الله وعلى عقيدة المسلمين الَّتِي أخذت -لأول مرة- تتعرض للأفكار الشاذة.

وقد وردت آثار وأحاديث مرفوعة فِي ذم القدرية وأنَّهم مَجوس هذه الأمة، بل هم أسوأ حالاً وأردأ، حيث يثبتون خالقين كثيرين؛ إذ كل عبد من الجن والإنس والملائكة يخلق أفعال نفسه الاختيارية فِي زعمهم الفاسد.

والقدرية بالمفهوم المعاكس -الجبرية- تَجعل العبد مَجبورًا ومدفوعًا إِلَى الأعمال من خير أو شر، ثُمَّ يُجازى خيرًا أو شرًّا، وهي ضلالة أخرى.

والصواب وسط بينهما، وهو ما عليه أهل السنة والجماعة، وهو أنه لا خالق إلا الله؛ فالعبد وأعماله مَخلوقات لله، والعبد يأتِي عمله باختياره، ويذرها باختياره، وهذا سر التكليف ومناط الجزاء خيرًا أو شرًّا، والعلم عند الله، والمسألة مبسوطة فِي موضع آخر.



٤- الجهمية

وبعد عصر الصحابة، فِي أوائل المائة الثانية، حدث مذهب الجهمية.

وأول من أحدثه الجعد بن درهم، حيث سُمع منه لأول مرة فِي الإسلام القول بأن الله "لَمْ يتخذ إبراهيم خليلاً، ولَمْ يكلم موسى تكليمًا".

فأفتى علماء التابعين بكفره؛ لتكذيبه كلام الله وكلام رسوله ﷺ، فطورد حَتَّى قبض عليه، ثُم أخذ إلى مصلَّى العيد يوم عيد الأضحى، فذبح فِي المصلَّى على رءوس الأشهاد؛ ليكون عبرة لغيره، مِمَّن تسوِّل له نفسه مثل قوله، حيث خطب خطبة العيد أمير العراق والمشرق خالد القسري، وقال فِي آخر خطبته -رحِمه الله-: "أيها الناس! ضحوا، تقبل الله ضحايكم؛ فإنِّي مضحٍّ بالجعد بن درهم؛ لأنه زعم أن الله لَمْ يتخذ إبراهيم خليلاً، ولَمْ يكلم موسى تكليمًا"، ثُم أمر بذبحه فذبح، وكان ذلك بإجْماع من علماء السلف، فجزى الله خالدًا القسري وعلماء التابعين خير الجزاء على صنيعهم الناصح.

وقبل أن يهلك الجعد أخذ عنه هذه العقيدة جهم بن صفوان، فأظهرها ودعا إليها حَتَّى انتشرت، ولذا أضيفت إليه دون الأول، فقيل: العقيدة الجهمية.

وإذا أردنا أن نعرف سند هذه العقيدة الجهمية؛ فإن جعدًا أخذها عن أبان بن سَمعان عن طالوت ابن أخت لبيد الأعصم اليهودي الساحر

الذي سحر النَّبِي ﷺ.

هذا سندها كما ذكر غير واحد من أهل العلم.

ومن هنا تعلم أن الجهمية يَهودية السند كما رأيت؛ فكيف يطيب المسلم نفسًا أن يدين بعقيدة ينتهي سندها إِلَى اليهودية؟!

وعلى كلٍّ؛ فإن جهمًا قد أخذ يدعو إليها ويناظر دونَها، حَتَّى عظمت به الفتنة، وأخذ يشكك كثيرًا من الناس فِي صفات الله تعالى؛ إذ كان ينفي جَميع صفات الكمال -وصفات الله كلها كمال- جُملة وتفصيلاً، فأوهم الناس أن إثبات الصفات يتنافى والتنْزيه، وأورد على الناس شبهات مشككة.

كأن يقول: إن إثبات الصفات والأسْماء لله تعالى إنَّما يعني تعدد القدماء ولا قديْم إلا الله.

وجواب هذه الشبهة: أن الله قديْم بأسْمائه وصفاته، وصفات الله وأسْماؤه ملازمة لذاته سبحانه ولا تنفك عنه، ولا يسمى هذا تعدد القدماء، وإنَّما ذلك لو قيل: إن هناك ذاتًا أو ذوات غير الله، وهي قديمة قدم الله تعالى؛ فليفطن لذلك.

وتعتبر فتنة الجهمية فِي باب الأسْماء والصفات أول فتنة عرفت فِي تاريخ العقيدة؛ إذ كانت فتنة القدرية فِي نفس القدر فقط، دون خوض فِي الصفات؛ بيد أنَّها انضمت إِلَى عقيدة المعتزلة أخيرًا، وكانت فتنة الخوارج فِي باب أسْماء الإيْمان فِي أول أمرها، وإن كانوا قد اعتزلوا أخيرًا، وفتنة الشيعة فِي الغلو فِي آل البيت فِي أول الأمر، ثُم تأثروا

بعقيدة المعتزلة أيضًا، كل ذلك أيام نشاط المعتزلة فِي عهد المأمون العباسي؛ كما سيأتِي تفصيل ذلك -إن شاء الله تعالى-.

وأما بدعة الجهمية وفتنتها؛ فقد أنكرها علماء أهل السنة أشد الإنكار، وضللوا أهلها، وحذروا الناس من مُجالستهم، بل عابوا على من جالسهم، وكتبوا فِي الرد عليهم كتبًا ورسائل، وهي معروفة لدى طلاب العلم.

ومِمَّا ينبغي التنويه به أن الجهمية وإن كانت فِي الأصل اسْمًا أو لقبًا للعقيدة الَّتِي دعا إليها جهم وأتباعه؛ إلا أن علماء السلف أطلقوا هذا اللقب فيما بعد على كل من ينفي صفات الله تعالى أو بعضها، فيطلق هذا اللقب على المعتزلي والأشعري ومن شابَهَهما فِي نفي صفات الله كلها أو بعضها.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

٥- المعتزلة

وبينما أهل السنة فِي مكافحة التجهُّم والتحذير منه؛ حدثت فتنة أخرى قريبة من فتنة الجهمية، وهي عقيدة الاعتزال.

وقد حدثت عقيدة الاعتزال فِي أيام الإمام الحسن البصري التابعي المعروف؛ إذ كان واصل بن عطاء زعيم الاعتزال من جلساء الإمام الحسن، ولكنه اختلف معه فِي مسائل فِي العقيدة، فاعتزل مَجلسه فِي المسجد الذي يدرس فيه الحسن، ولَمْ يذهب بعيدًا عن المسجد، وباعتزاله مَجلس الحسن؛ اعتزل المسلمين فِي عقيدتِهم، وأطلق عليه وعلى أتباعه أنَّهم معتزلة.

وتذكر بعض المصادر أسبابًا أخرى لِهذه التسمية، ولا منافاة بين تلك الأسباب، ولا طائل من ذكرها وتعدادها.

فزعمت المعتزلة أنَّهم يثبتون أسْماء الله تعالى مع نفي صفاته سبحانه، ولكن دون أن تدل على معانيها، وهو إثبات لا ينفعهم شيئًا، بل هم متناقضون فِي هذا الإثبات الصوري، فإذا كان إثبات الصفات يؤدي إلَى تعدد القدماء على حد زعمهم إن قيل إن صفاته قديمة قدم الذات، أو يؤدي إلَى القول بِحلول الحوادث بذات الله تعالى إن قيل إنَّها حادثة؛ فهلاَّ لزم هذا المحظور من إثبات الأسْماء كما لزم من إثبات الصفات؟! أو هلاَّ انتظم هناك ما انتظم هنا؟! لأن الباب واحدٌ.

هكذا يتورط فِي التناقض كل من يتبع هواه واستحسان عقله القاصر

أو عقول الشيوخ معرضًا عن كتاب الله المبين وسنة رسوله الأمين ﷺ.

فالكتاب والسنة يثبتان صفات الله تعالى على ما يليق بالله ﷻ، وعقول المعتزلة تأبى وتنفي! ﴿أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [البقرة:١٤٠].

وقد انفردت المعتزلة بتطوير مذهبها دون سائر الطوائف، حيث زعموا وجوب التزام الأصول الخمسة الَّتِي ابتدعوها، والَّتِي ما أنزل الله بِها من سلطان، ولكن؛ بعد أن أطلقوا عليها ألقابًا مقبولة عند سَماعها قبل أن يعرف تفسيرها.

*** الأصول الخمسة عند المعتزلة:**

فلنورد أسْماء تلك الأصول المبتدعة الَّتِي أشرنا إليها، والَّتِي عارضوا بِها أصول الإيْمان عند أهل السنة:

*** الأصل الأول: التوحيد:**

ومعناه عندهم نفي الصفات كما هو مفصل فيما بعد. بل وقد تقدم طرف من عقيدتِهم.

*** الأصل الثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:**

فاستباحوا بناءً على الأصل الأول الفاسد فِي معناه الخوض فِي أعراض صحابة رسول الله ﷺ، والتعرض والخوض فيما جرى بينهم من الأمور الاجتهادية الَّتِي سببت الخلاف بينهم، بل ربَّما أدت إلَى القتال أحيانًا، ولقد كان موقف أهل السنة فِي هذا المقام -بل فِي كل مقام- شريفًا ونزيهًا ومنصفًا، حيث لَمْ ينحازوا إلَى جهة أو وجهة معينة بالهوى كما فعل غيرهم، بل قالوا قولتهم المشهورة: "وحيث صان الله رماحنا من دمائهم؛ فيجب علينا أن نصون ألسنتنا وأقلامنا من أعراضهم"، بل إنَّما كان قولهم: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا

﴿وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيْمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحشر:١٠].

وفِي هذا المعنى يقول أحمد بن رسلان الشافعي فِي منظومته المعروفة بـــ"الزبد":

وما جرى بين الصحاب نسكت عنه وأجر الاجتهـــاد نثبـت

هذا؛ وقد استباح المعتزلة بناء على أصلهم ذلك الخروج على الأئمة كما فعلت الخوارج من قبل، بل هُما طائفتان متقاربتان فِي بعض أفكارهِما كما لا يَخفى.

ومِمَّا ينبغي التنبيه عليه أن هذه المسألة من المسائل الَّتِي وافقت فيها الأشاعرة أهل السنة، وهي مسائل معدودة؛ كما سيأتِي إن -شاء الله تعالى-.

❊ الأصل الثالث: القول بالمنزلة بين المنزلتين:

فِي مرتكب الكبيرة أي أنه يَخرج من الإيْمان ولا يدخل فِي الكفر، وهي منْزلة وهمية، لا وجود لَها فِي الواقع؛ لأن القسمة ثنائية: إما كفر وإما إيْمان، ولا واسطة بينهما؛ فمرتكب الكبيرة مؤمن ناقص الإيْمان، ويوصف بأنه فاسق، ولكنه لا يزال فِي دائرة الإيْمان، وقد صح عن النَّبِي ﷺ قوله: «**شفاعتِي لأهل الكبائر من أمتي**»[١]. فلو كان مرتكب الكبيرة كافرًا؛ لما نفعته شفاعة الشافعين؛ حيث يقول الله تعالى فِي شأن الكفار: ﴿**فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ**﴾ [المدثر:٤٨].

هذا كله فِي أحكام الدنيا، وأما فِي الآخرة، فإنَّهم يزعمون أن مرتكب الكبيرة الذي مات قبل التوبة؛ يدخل النار فِي زعمهم خالدًا

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٣٩)، والترمذي (٢٤٣٥) من حديث أنس ﷺ.

مُخلدًا فيها مع الكفار.

وهذه نقطة اتفاق بينهم وبين الخوارج، فيكون الاختلاف بينهم صوريًّا فقط.

فبناء على هذا الزعم نفوا شفاعة النَّبي ﷺ لأهل الكبائر مُخالفين النصوص الصحيحة الَّتِي أشرنا إِلَى بعضها آنفًا.

إنه لموقف جريء وجائر كما ترى، وهو داخل فِي الحكم بغير ما أنزل الله، وذلك كفر؛ كما نطق به الكتاب: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤].

※ الأصل الرابع: العدل "ما أحسن هذا الاسم وما أسوأ المسمى":

ومعناه عندهم وجوب الاعتقاد بأنه يَجب على الله ﷻ فعل الأصلح فالأصلح للعباد؛ بحيث لو لَمْ يفعل ذلك؛ يكون ظالِمًا، وهي جرأة أخرى كالتِي قبلها، أو هي أسوأ.

※ الأصل الخامس: وجوب تنفيذ الوعد والوعيد:

فيزعمون أنه يجب على الله أن يثيب المطيع كما وعد، وأن يعاقب العاصي كما أوعد، وهم من جهلهم أو تَجاهلهم لا يفرقون بين خلف الوعد وتأخير الوعيد.

فليس للعباد حقٌّ واجبٌ   **عليه ولا سعيٌ لديه ضائــعُ**

إن عذبوا فبعدله أو نعموا   **فبفضله وهو الكريم الواسعُ**

فتأخير الوعيد وعدم مؤاخذة المسيء بالإساءة مع القدرة كرم ومنة.

وأما إيفاء الوعد بإكرام أوليائه فِي دار كرامته وأحيانًا فِي هذه الدار

نفسها؛ فتفضل وإحسان من الله على عباده.

فليس على الله شيء واجب، هذا هو الذي عليه أهل السنة قديْمًا وحديثًا؛ لأن الإيْجاب معناه الإلزام، فمن الذي يلزم الله تعالى بشيء؟!

وهي حقائق لا تَخفى على أهل البصيرة، بل لا يَجهلها إلا من اعتزل ملة المسلمين واتبع غير سبيل المؤمنين وجادل بالهوى، فيصدق عليه قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدًى وَلاَ كِتَابٍ مُّنِيرٍ**﴾ [الحج:٨].

وفِي ذلك الوقت -أي: فِي المائة الثالثة من الهجرة النبوية- تتعاقب الفتن على المسلمين، فبينما هم فِي فتنة هوجاء؛ تفاجئهم أخرى فتشتد وطأتُها؛ إذ تظهر فتنة تلو الأخرى.

فظهرت المعتزلة والناس يعانون فتنة الجهمية وإلحادهم ويقاومونَها، ظهرت المعتزلة وهي أشد تأثيرًا من غيرها؛ إذ أصبحت مذهبًا رسميًّا أو شبه رسمي، فرفعت صوتَها بنفي الصفات دون أدنى تَحفظ، وبالقول بِخلق القرآن، فاستخدمت الجدل المنطقي والأسلوب الفلسفي فِي دعوتِها، فاستطاعت أن تشوش على الناس، مع ما قام به أئمة المسلمين من المقاومة المشكورة، والتنفير والتحذير من مُجالسة أهلها، كما فعلوا من قبل مع الجهمية كما تقدم، فقابلتهم المشبهة بالقول بالتشبيه؛ ليكون ردًّا لتعطيلهم، وهم الكرامية وغيرهم، فشبهوا الله بِخلقه فِي ذاته وصفاته، فزعموا أنَّهم يريدون بذلك الردّ على نفاة الصفات، وهو باطل؛ لأنه من باب رد الباطل بباطل مثله، فوقع الناس فِي الشبه كمستغيث من الرمضاء بالنار.

المحنة التاريخية

تَحدثنا فيما أسلفنا عن تأثير المعتزلة فِي جَميع الطوائف الموجودة آنذاك؛ إذ تبنَتْها كثير من الطوائف عقيدة لَها كما رأينا، بل أوضحنا سبب ذلك؛ إذ كان الخليفة المأمون داعية لَها بكل ما لديه من قوة وسلطة.

فلنتحدث الآن تحت هذا العنوان عن تلك الفتنة المتطرفة الَّتِي عرفت فِي التاريخ باسم "**محنة خلق القرآن**" بإيْجاز دون إطناب؛ خشية الإملال.

وملخص هذه الفتنة: إن جَماعة متطرفة من المعتزلة تَمكنت -كما أسلفنا- من الخليفة المأمون بن هارون الرشيد، حَتَّى أزاغوه عن المنهج السلفي الذي كان عليه الخلفاء من قبله -الأمويون والعباسيون-، وأوقعوه فِي باطل من العقيدة، فزينوا له القول بِخلق القرآن ونفي صفات الله والخوض فِي جَميع المطالب الإلهية معتمدًا على عقله ومتبعًا هواه بكل جرأة، معرضًا عن نصوص الكتاب والسنة، بل مستخفًّا بِها، وزاعمًا أنَّها لا تفيد العلم، بل مُحاربًا لَها، وهي بدعة لَمْ تُعرف فِي الخلفاء الذين من قبله؛ كما تقدم.

يقول الإمام البيهقي فِي هذا المعنى: "ولَمْ يكن فِي خلفاء بني أمية وبني العباس خليفة إلا على مذهب السلف ومنهاجهم، فلما تولى المأمون الخلافة؛ اجتمع به هؤلاء المعتزلة، فحملوه على نفي الصفات والقول

بِخلق القرآن" اهـ. كما تقدم.

وكل الذين تَحدثوا عن المحنة يتفقون على أن الخليفة المأمون أُتي من قبل بطانة السوء من كبار المعتزلة فيما تورط فيه، وحَمل الناس عليه بالقوة دون فتح لباب الحوار الحر والأخذ والردِّ والمناقشة الهادفة؛ كما هو المتوقع فِي مثل هذه المسائل العلمية والفكرية، بل نصب المأمون نفسه داعية لا يرد له قول ولا يعصى له أمر.

وفِي حدود سنة ثَمانية عشرة ومائتين كتب المأمون إلَى نائبه والى بغداد إسحاق بن إبراهيم بن مصعب يأمره أن يدعو الناس إلَى القول بِخلق القرآن!

هكذا! بِهذه الجرأة! ودون مقدمة أو تَمهيد! ولَمْ يسع الوالي إلا الامتثال، فجمع عددًا من العلماء من أئمة الحديث والقضاة والفقهاء، فعرض عليهم كتاب الخليفة، وبلَّغهم رغبته، ودعاهم إلَى القول بِخلق القرآن، مع نفي صفات الله، وأنه تعالى لَمْ يتخذ إبراهيم خليلاً ولَمْ يكلم موسى تكليمًا.

فامتنع العلماء امتناعًا مطلقًا عن هذا الأمر العظيم، فأخذ يُهددهم بالضرب -وهم علماء الأمة-، ويقطع المرتبات بالنسبة لِمن لَهم مرتبات من الدولة، فاختلفوا: منهم من أظهر الموافقة ظاهرًا ومكرهًا وقلبه مطمئن بالإيْمان إن شاء الله، ومنهم من أصرَّ على الامتناع، وفِي مقدمتهم الإمام أحمد بن حنبل -رحِمه الله تعالى-، الذي وقف عند

قوله، وثبت على عقيدته، ولَمْ يؤثر فيه التعذيب والتنكيل، ولَمْ تأخذ بقلبه تلك الفتنة، بل لَمْ يبال سلطان الخليفة وقوته وتَهديدات واليه إسحاق بن إبراهيم.

تذكر بعض مصادر التاريخ أن الخليفة المأمون توفي بطرطوس قبل أن يصل إليه الإمام أحمد وهو مَحمول إليه، ولما توفي الخليفة؛ رُدَّ الإمام إلَى بغداد، ثُم تولى الامتحان والتعذيب المعتصم بالله -الخليفة الثامن-؛ إذ أصبح القول بخلق القرآن والدعوة إلَى ذلك جزءًا من سياسة الدولة العباسية فِي هذا العهد، يرثه اللاحق من السابق، ثُم استمر الوضع هكذا أيام الواثق بالله. وهو الخليفة التاسع من خلفاء بني العباس، وبانتهائه انتهت الفتنة الهوجاء.

وبقي الإمام أحمد بعد الخلفاء الثلاثة -خلفاء الاعتزال- الذين ماتت معهم المحنة؛ إذ تولى الخلافة بعد الواثق بالله المتوكل، فأعلن رفع المحنة، فشرع الإمام أحمد فِي نشر السنة الَّتِي عذب من أجلها وفِي سبيلها، فرفع صوته بنصوص الصفات من جديد بعد أن كانت مهجورة وممنوع ذكرها؛ إذ أتى الله بالفرج.

وهكذا انتهت تلك الفتنة الَّتِي عرفت بـــ"**الْمحنة**"، فجدَّد الإمام أحمد دعوته السلفية الَّتِي عرفت بعد ذلك بـــ"الحنبلية" نسبة إليه -رحِمه الله- وتقبَّل منه جهاده وتَجديده، ولذا لقبه أهل عصره "**ناصر السنة وقامع البدعة**"، وعرف بعد ذلك بإمام أهل السنة والجماعة، وحق له ذلك.

وبِمناسبة انتشار آراء أهل البدع الَّتِي تُحاول التشنيع على أهل السنة؛ إذ ترميهم بالتشبيه والتجسيم، أو أنَّهم مفوضة التفويض المطلق؛ بِهذه المناسبة ولِهذا السبب صرح الإمام أحمد تصريحات أوضح فيها موقفه وموقف جَميع أهل السنة من نصوص الصفات، وذلك فيما يرويه ابنهُ عبد الله بن أحمد.

إذ يقول -رحِمه الله ورضي عنه-: "هذه الأحاديث نرويها كما جاءت".

ويقول أيضًا: "إن ما يرجع إلَى عالم الغيب لا ينبغي الخوض فيه، وإنَّما نفوِّض أمره إلَى الله".

ويعنِي بالتفويض قطعًا تفويض الكيفية والكنه وحقائق الصفات لا تفويض المعنى، وهو أمر لا يَختلف فيه اثنان من أهل السنة والجماعة قديْمًا وحديثًا.

ومن كلامه -رحِمه الله-: "من صفة المؤمن من أهل السنة والجماعة إرجاء ما غاب عنه من الأمور إلَى الله" كما جاءت الأحاديث عن النَّبِي ﷺ: «**إن أهل الجنة يرون ربِّهم** ﷻ»[1]. فيصدقها، ولا يضرب لَها الأمثال.

وأحاديث الرؤية الَّتِي أشار إليها الإمام أحمد هنا قد بلغت التواتر؛ فليرجع فِي ذلك إلَى كتاب "**حادي الأرواح إلَى بلاد الأفراح**" للعلامة ابن القيم.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

نصيحة الإمام أحمد لأهل السنة

بعد تلك التجربة الطويلة مع المعتزلة والامتحانات المريرة الَّتِي خرج منها الإمام أحمد بنجاح دونه كل النجاح، وقد خبرهم وما ينطوون عليه، وإن ظاهروا -فيما يبدو للناس أحيانًا- بالانتصار للسنة؛ كما هو شأن الأشاعرة الكلابيين.

يقول الإمام أحمد وهو يُخاطب أهل السنة والجماعة: "لا تُجالسوا أهل الكلام وإن ذبُّوا عن السنة"؛ أي: وإن تظاهروا بذلك. أو حصل منهم ذلك أحيانًا بالنسبة لبعض النصوص الَّتِي آمنوا بِها؛ لموافقتها لما عندهم أو لهواهم.

وينطبق هذا الوصف على الأشاعرة الكلابيين تَمام الانطباق كما أسلفنا.



فقه النصيحة

هذه النصيحة من الإمام أحمد نصيحة إمام خبير بصير نازل القوم حَتَّى خبرهم وخبر عقيدتَهم وانحرافها، وإن تظاهر بعضهم أحيانًا بالانتصار للسنة والدفاع عنها والذبِّ عن الحق، على الرغم من ذلك كله؛ فلا ينبغي تصديقهم وإعطاء الثقة لَهم، حَتَّى يَحكموا بأن تلك العقيدة هي العقيدة الصحيحة، ويعلنوا التوبة علنًا، كما أعلن أبو الحسن الأشعري التوبة عن الكلابية، وأعلن رجوعه إلَى منهج السلف الذي جدَّده إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل -رحْمة الله عليه-، حيث يقول الأشعري -رحِمه الله-: "قولنا الذي نقول به، وديانتنا الَّتِي ندين بِها: التمسك بكتاب ربنا ﷻ، وسنة نبينا ﷺ، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونَحن بذلك معتصمون، وبِما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن مُحمَّد بن حنبل -نَضَّر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته- قائلون، ولمن خالف قوله مُجانبون؛ لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به المبتدعين وزيغ الزائغين وشك الشاكّين؛ فرحْمة الله عليه من إمام مقدَّم، وجليل معظم، وكبير مفخم، وعلى جَميع أئمة المسلمين" اهـ.

وكما رجع أو ندم كبار أتباعه على خوضهم فِي علم الكلام فِي

آخر حياتهم؛ مثل: إمام الحرمين، ووالد إمام الحرمين، والرازي، والشهرستاني، والغزالي.

وموقفهم الأخير من علم الكلام معروف لدى طلاب العلم، وما انتهى إليه أمرهم من الحيرة والاضطراب والندم والبكاء، حيث بكى بعضهم بكاء الثكلى.

وأما من أصرَّ على العقيدة الأشعرية الكلابية، ثُمَّ ادَّعى الانتصار للسنة؛ فلا سَماع لدعواه، بل هو متناقض.

فانطلاقًا من هذا المفهوم؛ كان الإمام أحمد ينهى أصحابه عن مُجالسة الحارث المحاسبي، الذي يخلط بين التصوف وعلم الكلام. علمًا بأنه كثيرًا ما يوافق أهل السنة فِي بعض الصفات؛ مثل صفة العلو لله تعالى واستوائه على عرشه؛ كما نقل عنه شيخ الإسلام بن تيمية -رحِمه الله تعالى- فِي "**الفتوى الحموية الكبرى**".

ونصيحة الإمام هذه تشير إلَى الدرجة الثالثة من درجات إنكار المنكر وإزالته، تلكم الدرجات الَّتِي دلَّ عليها قوله ﷺ: «**من رأى منكم منكرًا؛ فليغيره بيده، فإن لَمْ يستطع؛ فبلسانه، فإن لَمْ يستطع؛ فبقلبه، وذلك أضعف الإيْمان**»[1]. أخرجه مسلم وأحمد.

وإذا راجعنا تاريخ سلفنا؛ نَجد أنَّهم قد قاموا أو قامت كل مَجموعة منهم بِما فِي وسعها من إنكار المنكر وإزالته:

---

(١) أخرجه مسلم (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

حيث نَجد بعض الخلفاء والأمراء الصالحين يزيلون المنكر بأيديهم.

فقد رأينا أمير المؤمنين عليَّ بن أبِي طالب ﷺ يشدِّد الإنكار على غلاة الشيعة الذين غلوا فيه إلَى درجة التأليه، إلَى أن اضطر إلَى إحراقهم بالنار؛ كما تقدم؛ فالقصة معروفة لدى طلاب العلم.

كما رأينا عبد الملك بن مروان الأموي يأمر الحجاج بتعذيب معبد الجهنِي لإنكاره القدر، فصلبه الحجاج [بحجاجيته] القوية المعروفة.

ثُمَّ رأينا كيف طاردوا جعد بن درهم حَتَّى قبضوا عليه فذبحوه فِي مصلى العيد على رءوس الأشهاد، كأنه كبش يُضحَّى به؛ لبدعته المعروفة؛ إذ سُمِعَ منه ما لَمْ يُسمع من أحد مِنْ قبله فِي الإسلام، حيث صرح بأن الله لَمْ يتخذ إبراهيم خليلاً، ولَمْ يُكلم موسى تكليمًا، فَنَفَّذَ فيه القتل أمير من أمرائهم الصالحين خالد القسري.

وأخيرًا؛ قتلوا جهم بن صفوان الذي أخذ بدعة جعد، فقام بنشرها، حيث نسبت إليه البدعة، فقيل: الجهمية، ولا يقال: جعدية.

هكذا كان موقف السلف فِي إنكار المنكر وإزالته بأيديهم -رحمهم الله-؛ فهذه هي الدرجة الأولى والشعبة الكبرى فِي إزالته، وهي درجة يَملكها كل من له سلطة يتمكن معها من إزالة المنكر بالقوة، وتتعين فِي حقهم، ولو لَمْ يقوموا بِها؛ أثموا والله المستعان.

أما الدرجة الثانية؛ فهي إنكار المنكر باللسان والقلم، فيشمل ذلك استنكار المنكر، والتحذير منه، وبيان قبحه وعاقبته الوخيمة إن سكت

عنه، والوعظ والإرشاد والتذكير والتنفير عن إثبات المنكر وارتكابه.

وقد قام سلفنا بكل ذلك على أكمل وجه، ومن ذلك ما ثبت عن عبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ، حيث أعلن براءته من القدرية عندما قيل له: إن هناك قومًا ينكرون القدر السابق، فأعلن براءته من صاحب المنكر.

وهذا النوع من إنكار المنكر باللسان كما تقدم، ولا يَملك ابن عمر غير ذلك؛ لأنه ليس بذي سلطة حَتَّى يزيل المنكر بيده.

ومن ذلك أيضًا ما فعله عبد الله بن عباس ﷺ، حيث أعلن استنكاره، بل قد همَّ بإزالة المنكر لو استطاع، إذ تَمنَى لو تَمكن من القدري، حَتَّى تقع رقبته فِي يده ليدقها بيده حَتَّى الموت، أو يَجدع أنفه على الأقل؛ لأنه كان قد عَمِيَ يومئذ كما تقدم.

فرضي الله عن ابن عباس، ونرجو الله أن يكتب له أجر من همَّ بِحسنة ولَمْ يعملها إذ منعه مانع، علمًا بأنه ليس بذي سلطة حَتَّى يلزمه إزالة المنكر بيده على ما تقدم، وقد قام بِما يُمكنه، وهو إنكاره بلسانه -رحِمه الله-.

هذا وإن الذين قاموا بِهذه الدرجة من أئمة السلف كثيرون جدًّا.

١- منهم: الإمام أبو حنيفة النعمان، حيث صرح بكفر من نفى صفة علو الله على خلقه واستوائه على عرشه بآيات من القرآن الكريم؛ كقوله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طه:٥].

وقوله تعالى: ﴿**أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ**﴾ [الملك:١٦]. وغير ذلك من أدلة العلو.

٢- ومنهم: الإمام أبو يوسف صاحب أبِي حنيفة، الذي أثر عنه قوله: إن من اشتغل بعلم الكلام، وطلب المعرفة من جهته؛ فقد تزندق.

٣- ومنهم: الإمام مالك بن أنس، إمام دار الهجرة؛ إذ يقول: أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل؛ تركنا لجدله ما جاء به جبريل إلَى مُحمَّد ﷺ.

٤- ومنهم: الإمام الشافعي الذي أفتَى فِي أهل الكلام لقاء اشتغالِهم بالكلام معرضين عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بتلك الفتوى المعروفة؛ إذ قال: حكمي فِي أهل الكلام: أن يُحملوا على الحمر الأهلية، ويطاف بِهم فِي العشائر والقبائل، فيعلن أن هذا جزاء من أعرض عن كتاب الله واشتغل بعلم الكلام.

فهؤلاء كلهم أنكروا المنكر كما ترى بألسنتهم بعبارات صريحة وأساليب مُختلفة، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير ما يجزي به المصلحين والعلماء العاملين.

وبعد؛ يتضح من هذا العرض السريع لمواقف سلفنا من المنكر ومن النماذج الحية الَّتِي سقناها أنَّهم لَمْ يدَّخروا وسعًا فِي إنكر المنكر ومُحاولة إزالته بكل ما هو مُمكن -كما رأيت- بدرجاته الثلاث.

وأخيرًا؛ هذا هو الإمام أحمد يوجه نصيحته الغالية إلَى أهل السنة عامة، وإلَى طَّلاب العلم خاصة، بعدم مُجالسة أهل الكلام والمتصوفة وجَميع أهل البدع المعروفين ببدعتهم.

فعلى طلاب العلم فِي هذا العصر، وقد ظهر التساهل أو عدم المبالاة

فِي مُجالسة أهل البدع ومُجاملتهم: أن يعيدوا النظر فِي موقفهم المتساهل الذي يدل على ضعف الغيرة وعدم المبالاة بالمنكر والبدع، عملاً بنصيحة إمام أهل السنة وقامع البدع الإمام أحمد بن حنبل -رحِمه الله ورضي عنه-، وأن يَختاروا لأنفسهم من يَجلسون إليهم من الأساتذة والمشايخ الذي يرضون عقيدتَهم وأخلاقهم وصدق تَمسُّكهم للسنة؛ ليطلبوا العلم على أيديهم؛ فليحذروا المبتدعة من أهل الكلام والمتصوفة، ومن الروافض، وغيرهم؛ خشية أن يتأثروا ببدعتهم، فتفسد عقيدتُهم، وهم لا يزالون غير ناضجين.

ولا يختلف اثنان فِي أن للأستاذ تأثيرًا ملموسًا فِي تلميذه إذا لازمه مدة طويلة، وأقل ما يصاب به الطالب الذي يطلب العلم على أيدي المبتدعة أن تَخرج من قلبه كراهة البدع والمعاصي والمخالفات، ويفقد واجب الحب فِي الله والبغض فِي الله، ولا يبالي جالس سنيًّا أو مبتدعًا، وإنَّما الحكم عنده لما يظنه مصلحة للدعوة، يدور معه حيث دار، والله المستعان، وذلك من علامات مرض القلب الذي يؤدي إلَى نوع من النفاق عياذًا بالله.

هذا بإيجاز ما يستفاد من هذه النصيحة الغالية من إمام عظيم مُجرب -رحِمه الله-.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

نماذج من أسئلة الامتحان

قبل أن أترك الحديث عن الإمام أحمد ومُحنته ومسألة خلق القرآن التاريخية أستحسن أن أورد نَماذج من أسئلة الامتحان الَّتِي وجهت للإمام تَحت التهديد فِي أثناء التعذيب؛ ليتصور القارئ كيفية تلك المحنة، ولو بعض التصور:

حيث يسأل والي بغداد ويُجيب الإمام:

إسحاق بن إبراهيم: ما تقول فِي القرآن؟

الإمام أحمد: هو كلام الله.

إسحاق: أمخلوق هو؟

الإمام أحمد: هو كلام الله لا أزيد على هذا.

إسحاق: ما معنَى: ﴿**أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾ [الحج:٦١].

الإمام أحمد: هو كما وصف نفسه.

هذا باختصار، ومن أراد التفصيل؛ فليرجع إلَى المظان، وهي كثيرة وبالله التوفيق.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

٦- القرامطة

ومن الطوائف الضالة: القرامطة، الَّتِي ظهرت فِي أثناء نشاط الفرق.

القرامطة الباطنية متفرعة من الروافض، ظهرت القرامطة أول ما ظهرت بالكوفة، ثُمَّ انتشرت فِي العراق والشام وغيرهُما من البلدان المجاورة، فصرَّحوا بتأويل -تَحريف- الشرعية كلها، وأنَّها ليست على ظاهرها، بل لابدَّ من صرف ظواهرها!

وهكذا تتابعت الفتن والبدع فِي هذا الوقت، ولكنَّ الذي جعل مذهب المعتزلة يشتهر ويقوى حَتَّى تأثرت به أكثر الطوائف والفرق هو ما حصل من مؤازرة قوية ورسْمية، حيث أثرت المعتزلة على فكر الخليفة العباسي المأمون بن هارون الرشيد، فتبنَّى المذهب، ودعا إليه، ثُمَّ تبعه بعد موته الخليفة الثامن المعتصم بالله، ثُمَّ الواثق بالله، وهو تاسعهم.

وقد كان المأمون شغوفًا بكثرة الاطِّلاع على العلوم القديْمة من فلسفة الأمم السابقة، فترجمت له كتب كثيرة من تلك العلوم، فبادرت المعتزلة إلَى دراستها، وتأثرت بِها، ثُمَّ انتهزت فرصة شغف الخليفة بالمعرفة والمدارسة، فقربوا منه، بل تَمكنوا منه، وتملقوا له، حَتَّى صاروا من بطانته والمقربين إليه، فزيَّنوا له القول بِخلق القرآن ونفي الصفات، مستخدمين الفلسفة الَّتِي جلبها هو، فكثرت كتب الفلسفة فِي أيدي

الناس، وأقبلت جَميع الطوائف عليها من الجهمية والمعتزلة والرافضة والقرامطة وغيرهم، وانجَّر من ذلك على الإسلام والمسلمين ما لا يوصف من البلاء والضلال والبدع.

وهكذا انتشر مذهب الاعتزال بين الطوائف، حَتَّى إن الشيعة اتَّخذت مذهب الاعتزال عقيدة لَها مع تشيعهم، ولذا؛ تَجد أن جَميع فرق الشيعة تدين بعقيدة المعتزلة، بل ذهب إلَى الاعتزال كثير من الفقهاء، على اختلاف مذاهبهم الفقهية، وأكثرهم من الحنفية.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

٧- الأشعرية الكُلاَّبية

إن الحديث عن الأشعرية يتطلب الحديث أولاً عن أبي الحسن الأشعري، ولذا نقول: كان أبو الحسن يعيش فِي العراق، وتربَى فِي حجر إمام معتزلِي، هو مُحمَّد بن عبد الوهاب الجبائي، وهو زوج أمه، وهو المعروف بأبِي علي الجبائي، وتعلم عليه، ولازمه عدة أعوام؛ كما تفيد مصادر التاريخ وكتب التراجم، حَتَّى صار إمامًا فِي الاعتزال.

فناظر شيخه فِي مسائل علم الكلام، واختلف معه فِي بعض تلك المسائل؛ كالقول بوجوب فعل الأصلح على الله للعباد وغيرها من المسائل، فظهر له بطلان مذهب الاعتزال، فتركه.

ثُمَّ سلك مذهب أبِي مُحمَّد عبد الله بن سعيد بن كلاب بعد النظر فيه والتفكير الطويل؛ إذ رآه خيرًا من مذهب الاعتزال نوعًا ما؛ لأنه يثبت بعض صفات الله تعالى، وهي الصفات العقلية، ثُمَّ إن ابن كُلاَّب لا يقول بوجوب شيء على الله؛ فنهج على منواله، واعتقد عقيدته فِي باب الأسْماء والصفات والقدر، وأثبت أن العقل لا يثبت ولا يوجب المعارف قبل الشرع، وأن العلوم وإن حصلت بالعقل ولكنها لا تَجب إلاَّ بالشرع، وأن الله لا يَجب عليه شيء كما تقدم، بل إن أنعم الله؛ فبفضله، وإن عذب؛ فبعدله؛ كما هو مذهب أهل الحق، وهم السلف،

وأن النبوات من الجائزات العقلية والواجبات الشرعية ... إِلَى غير ذلك من المسائل الَّتِي خالف فيها شيخه الجبائيّ.

لِهذا أو لغيره من الأسباب اختار أبو الحسن مذهب ابن كلاب؛ إلا أن شهرة الأشعري غلبت على ابن كلاب، حَتَّى قيل: مذهب الأشعري؛ بدل أن يقال: مذهب الكلابِي؛ فليفهم هذا جيدًا؛ لأنه مهم.

❊ عقيدته فِي الطور الثانِي وأسباب انتشارها:

ذكرنا فيما أسلفنا أن أبا الحسن الأشعري عاش معتزليًّا فترة طويلة تقدر بنحو أربعين عامًا، ثُمَّ تاب لأسباب كثيرة بتوفيق الله تعالى، وقد أشرنا إِلَى بعضها، وطوينا البعض الآخر خشية الإطالة.

فإذا كان أبو الحسن قد ترك مذهبه الأول لأسباب ظهرت له؛ فلابدَّ له من عقيدة يدين بِها فِي صفات الله تعالى خاصة، وفِي كل ما يَجب الإيْمان به عامة.

لذا مال أبو الحسن إِلَى مذهب ابن كلاب كما تقدم، فأخذ يدعو إليه، حَتَّى مال إليه خلق كثير لما رأوا أنه خصم للمعتزلة، وداعية قويُّ الشخصية، وله تأثير ملموس، وهذه المرحلة هي طوره الثانِي.

وفِي هذا الطور خاصم الأشعري المعتزلة النفاة والمشبهة المجسمة معًا، الذين شبهوا الله بِخلقه فِي ذاته وصفاته؛ كالكرامية وغيرهم؛ إلا أنه لَمْ يصل بعد إِلَى منهج السلف الذي ينشده ويسعى إليه جادًّا، والذي انتهى إليه أخيرًا فِي طوره الثالث، بل لا يزال فِي طوره الثانِي الذي يعتبر

برزخًا فاصلاً بين مذهبه الأول ومذهبه الأخير، ولكنَّ موقفه الحازم ونشاطه ضد المعتزلة جعل صيته يطير ويظهر مكانته العلمية وغيرته الشديدة، حتَّى لا يكاد أن يذكر صاحب المذهب الأصيل ابن كلاب.

وقد تبعه على مذهبه الجديد الكلابِي جَماعة من الفقهاء؛ مثل القاضي أبِي بكر الباقلانِي المالكي، والشهرستانِي، صاحب "الملل"، والإمام الرازي الطبيب، والإمام الغزالي، ووالد إمام الحرمين، وإمام الحرمين نفسه .. وغيرهم، وأكثرهم من فقهاء الشافعية، فنصروا مذهبه الجديد وناظروا دونه وجادلوا من أجله، بل ألفوا فيه كتبًا كثيرة، فانتشر المذهب انتشارًا واسعًا فِي العراق، حيث مقر الإمام، فِي حدود سنة ثَمانين وثلاثمائة من الهجرة (٣٨٠هـ)، ثُمَّ انتقل إلَى الشام.

ولما مَلَك السلطان الناصر صلاح الدين بن أيوب ديار مصر؛ انتقل معه مذهب الأشعري؛ لأن صلاح الدين هو وقاضيه صدر الدين بن درباس كانا على مذهب الإمام الأشعري، وقد اعتنقاه فِي الشام عندما كانا بدمشق فِي خدمة السلطان العادل ابن زنكي، بل قد حفظ الملك صلاح الدين فِي صباه كتابًا فِي العقيدة الأشعرية ألفه له قطب الدين النيسابوري، فصارُ يحفظ هذه العقيدة صغار أولاده؛ فلذلك عقدوا الخناصر وشدوا البنان على مذهب الأشعري، بل كانوا لا يعرفون غيره.

واستمر الوضع على ذلك أيام ملوك الأيوبيين جَمعيهم، ثُمَّ فِي أيام مواليهم ملوك الأتراك.

وحصل أن سافر أثناء ذلك من العراق أحد رحالات المغرب، وهو أبو عبد الله مُحمَّد بن تومرت، فأخذ العقيدة الأشعرية الكُلاَّبية هذه عن أبِي حامد الغزالي، فلما عاد إلَى بلده المغرب؛ أقام فِي المصامدة -اسم مكان هناك- يفقههم ويعلمهم العقيدة الأشعرية، بل وضع لَهم كتابًا فِي العقيدة نفسها، فتلقاها الناس بالقبول والاستحسان.

ثُمَّ توفِي التومرتِي الذي حَمل إليهم العقيدة، فخلفه من بعده عبد المؤمن بن علي القيسي، ولقب القيسي هذا بـــ"أمير المؤمنين"، فتغلب على مَماليك المغرب هو وأولاده بعد فترة من الزمن، وسمَّوا أنفسهم "الموحدين"، وهم حَملة العقيدة الأشعرية التومرتية الَّتِي جاءتَهم من العراق، فتمسكوا بِها بشدة، بل دعوا إليها الناس، بل ألزموها الناس قسرًا، حتَّى استباحوا دم من خالف عقيدة التومرتِي؛ إذ هو عندهم الإمام المعلوم والمهدي المعصوم؛ كما قال المقريزي.

يقول تقي الدين المقريزي فِي "**خططه**" وهو يتحدث عن هذا الموقف المتطرف للموحدين: "فكم أراقوا دماء خلائق لا يُحصيها إلا الله الذي خلقها سبحانه بسبب تلك العقيدة التومرتية" اهـ.

ومِمَّا يلاحظ أن ذلك التشدد مِمَّن سَموا أنفسهم موحدين، ذلك التشدد الذي وصل إلَى هذه الدرجة كما رأينا، وأن تلك الحماقة الممقوتة ليست لأجل العقيدة الأشعرية، وليست لكون العقيدة الجديدة هذه لأبِي الحسن الأشعري، بل لأنَّها لتومرت الذي اعتبروه الإمام المعلوم والمهدي

المعصوم على ما تقدم من كلام المقريزي.

فهذه الأمور مُجتمعة هي من أسباب انتشار العقيدة الأشعرية واشتهارها هذه الشهرة فِي الأقطار الإسلامية، حَتَّى جهل غيرها من المذاهب.

ومن أهم تلك الأسباب كما لاحظتم الحماقة التومرتية الَّتِي استباحت دماء كل من خالف عقيدة تومرت، وهي حَماقة ما سجل التاريخ مثلها فيما نعلم.

وهكذا خلا الميدان لأبِي حمدان، وهكذا لعبت الأشعرية الكلابية ذلك البعد الخطير، على حين ضعف وتشتت من السلفيين؛ كما سنعلم قريبًا -إن شاء الله تعالى-؛ لأنَّها نشطت ذلك النشاط، مستغلة تلك الظروف المختلفة الَّتِي أسلفناها، وقد وقع ذلك قبل أن يستعيد السلفيون قوتَهم ونشاطهم فِي الدعوة، بعد خروجهم من معركتهم الَّتِي دامت فترة غير قصيرة مع المعتزلة وأقطابِها، وقد خرجوا منها منهكي القوى، وهم فِي حالة تشتت هنا وهناك.

ولكن الوضع لَمْ يستمر على ما هو عليه دون أن يقيض الله من يُجدد للناس عقيدتَهم ويدافع عنها، وصدق الله إذ يقول: ﴿**وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ**﴾ [البقرة:٢٥١].

وهذا ما نريد أن نتحدث عنه فِي العنوان الآتِي الذي قد يبدو غريبًا لأول وهلة.

* * * * *

كسـر الجمـود

سبق أن ذكرنا أن جَميع الفرق الكلامية عكفت على دراسة الفلسفة فِي عهد المأمون العباسي بتشجيع منه؛ بل بتحريض شديد منه، وما يتبع الفلسفة -كالمنطق مثلاً-، حَتَّى صار للفلسفة شأن -وأيُّ شأن- عند جَميع طبقات الناس على اختلاف مشاربِهم، بسبب ذلك التشجيع القوي من الخليفة.

وفِي تلك الفترة الحرجة ظهر عالم سلفي يدرس تلك العلوم الجديدة -أو الاصطلاحات الجديدة على الأصح- كما يدرسها غيره من الناس، ولكنه كان يدرسها فِي صمت تام، حَتَّى تبحر فِي جَميع تلك الاصطلاحات الكلامية والفلسفية، مع تَمكنه التام من العلوم الإسلامية عقيدة وشريعة، ومن علوم القرآن والحديث بصفة خاصة، ومن فروع اللغة العربية كذلك، ألا وهو تقي الدين بن تيمية الحرَّانِي الدمشقي.

ولكن الفرق بينه وبين غيره من تلك الفرق المشار إليها أنَّهم كانوا يدرسونَها على أنَّها علوم مقصودة لذاتِها، وأنَّها من العلوم النافعة الَّتِي يَحتاج إليها الناس لمعرفة دينهم ومعرفة ما يَجب لله وما يستحيل عليه سبحانه، ولذلك أطلقوا عليها أصول الدين، أو التوحيد، أو العقيدة الإسلامية ... وهي أسْماءٌ سَمَّوْها هم ومشايخهم ما أنزل الله بِها من

سلطان، وإلاَّ؛ فأين علم الكلام من أصول الدين والعقيدة الإسلامية، بل النسبة بينهما التباين البيِّن كما لا يَخفى.

وأما شيخ الإسلام؛ فقد درسها لغرض خاص، درسها ليعرف سبيل المجرمين كما عرف سبيل المؤمنين، ومن باب:

عرفتُ الشرَّ لا للشـــ ـــرِّ لكـــن لتوقِّيـــه

ومن لَمْ يعرف الشرَّ من الخير يقـــع فِيـــه

فمعرفة السبيلين معًا أمر له أهمية قصوى كما لا يَخفى على الفطن، وقد تحدث فِي هذه المسألة حديثًا عظيمًا مستفيضًا ينبغي لطالب العلم الاطلاع عليه العلامة ابن القيم -رحِمه الله- فِي بعض كتبه.

وقد استخدم شيخ الإسلام تلك الاصطلاحات فِي الدفاع عن الإسلام وعقيدته بلغة القوم المهاجمين للعقيدة وبِما يعقلون من الأسلوب، حيث خرج على الناس فجأة، وهو جندي مسلح بسلاح عصره، ومدرب على جَميع الأسلحة المستخدمة فِي الميدان، ويجيد استخدامها على قدر الحاجة، فعمل شيخ الإسلام فِي سبيل تَجديد منهج السلف، وتنشيط حركة الدعوة، عملاً يستحق أن يطلق عليه بلغة العصر "**كسر الجمود**"؛ لأنه ظهر بدمشق على حين غفلة من طوائف أهل الكلام وجَميع أهل البدع، وصدع بالحق؛ كما سيحدثنا عنه بعض المؤرخين، وأعلن الانتصار لمنهج السلف، فهاجم الأشاعرة الكلابية والمعتزلة والروافض والمتصوفة والمتفقهة المتعصبة.

وقد قام الإمام بِهذا الجهاد بعد فترة عصيبة مرت على السلفيين ومنهجهم وهم يعيشون متفرقين فِي زوايا العالم غرباء؛ فقد انصرف جُمهور الناس عن منهجهم إلَى علم الكلام بعد أن سَموه عقيدة كما تقدم، وليس للسلفيين صوت يسمع قبل ظهور هذا الإمام، حَتَّى جُهِلَتْ حقيقة منهج السلف وعقيدتِهم، فأخذ الناس فِي الخوض على غير هدى فِي تفسير منهج السلف، بعيدين عن الحقيقة؛ بين قائل: إنه التفويض المطلق، وإن السلف ما كانوا يفهمون معانِي نصوص الصفات؛ وقائل: إنَّهم مشبهة مُجسمة.

فظهر شيخ الإسلام ليصحح مفهوم العقيدة السلفية الَّتِي أصبحت غريبة ولكسر ذلك الجمود فِي سير الدعوة السلفية الَّتِي وقف فِي سبيل سيرها عوائق متنوعة من علم الكلام الذي أفسد القلوب بالاضطراب والشكوك، والتصوف الذي ردَّ الناس إلَى ما يشبه الجاهلية الأولى فِي باب العبادة والعادات والتقاليد والسواليف الموروثة؛ فجزى الله ذلك الإمام عن الإسلام والمسلمين خير ما يجزي به المصلحين المخلصين.

وفِي هذا المعنى يتحدث تقي الدين المقريزي مستعرضًا أسباب انتشار العقيدة الكلابية واشتهارها وخفوت صوت الحق فِي تلك الفترة الحرجة فيقول: "فلذلك صارت دولة الموحدين ببلاد المغرب تستبيح دماء من خالف عقيدة ابن تومرت؛ إذ هو عندهم الإمام المعلوم والمهدي المعصوم...".

إِلَى أن قال: "هذا هو السبب فِي انتشار مذهب الأشعري وانتشاره فِي أمصار الإسلام، بحيث نسي غيره وجهل، حَتَّى لَمْ يبق اليوم -يعنِي وقته سنة ٨٤٥هـ- مذهب يُخالفه؛ إلا أن يكون مذهب الحنابلة أتباع الإمام أبِي عبد الله أحمد بن حنبل ﷺ؛ فإنَّهم كانوا على ما كان عليه السلف، لا يرون تأويل ما ورد من الصفات ... إِلَى أن كان بعد السبعمائة من الهجرة، اشتهر بدمشق وأعمالِها تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحرانِي، فتصدى للانتصار لمذهب السلف، وبالغ فِي الردِّ على الأشاعرة، وصدع بالنكير عليهم وعلى الصوفية والرافضة، فافترق الناس فِيه فريقان:

١- فريق يبدعه ويضلله وينتقد عليه إثبات الصفات ومسائل أخرى، منها ما له سلف فيه، ومنها ما زعموا أنه خرق فيه الإجْماع ولَمْ يكن له فيه سلف، وكانت له ولَهم خطوب كثيرة، وحسابه وحسابُهم على الله الذي لا يَخفى عليه شيء فِي الأرض ولا فِي السماء.

٢- فريق يقتدي به، ويعول على أقواله، ويعمل برأيه، ويرى أنه شيخ الإسلام، وأجلُّ حُفاظ أهل الملة الإسلامية، وله وإِلَى وقتنا هذا عدَّة أتباع فِي الشام وقليل بِمصر" اهـ.

وبعد؛ لا ينبغي أن يغيب عن البال أن السلفيين قد خاضوا مع خصومهم المعتزلة معركة حامية الوطيس قبل أن توجد الأشعرية، وكانت المعتزلة -كما تقدم وكما يعلم الجميع- عقيدة دولة قوية كانت تدعو

إليها بقوة سلطانِها، ومع ذلك؛ فإن السلفيين قد قاوموها، ووقفوا فِي وجه تلك القوة؛ ممثلين فِي إمامهم إمام أهل السنة الإمام أحمد بن حنبل -رحِمه الله-؛ لذلك أطلقوا عليهم أنَّهم حنابلة؛ نسبة إلَى الإمام أحمد بن حنبل.

فدعوى الأشاعرة أنَّهم هم وحدهم الذين قاوموا المعتزلة وخاصموهم هي دعوى تنقصها البينة، وكل دعوى لا تدعمها البينة؛ فلا سَماع لَها، علمًا بأن الأشعرية الكلابية قد تتفق مع المعتزلة فِي بعض المسائل؛ كما لا يَخفى على طلاب العلم، ومن أبرز تلك المسائل ما يتعلق بصفة الكلام، حيث يتفق كل من المعتزلة والأشاعرة على أن الكلام اللفظي مَخلوق، ثُمَّ يختلفون فِي إثبات الكلام النفسي، فتثبته الأشاعرة وتنفيه المعتزلة "المسألة معلومة فِي موضعها".



جهاد شيخ الإسلام

هكذا يوجز تقي الدين المقريزي ظهور شيخ الإسلام المفاجئ.

وفور ظهوره اجتمعت الفرق الموجودة على مُحاربته، فحاربَهم كلهم وحده، مستعينًا بالله وحده، ومُلْجئًا ظهره إليه سبحانه، فناظر الفلاسفة فأفحمهم، وناظر المنطقيين فأسكتهم وألقمهم حجرًا، وناظر علماء الكلام على اختلاف منازلهم ومذاهبهم فحيرهم فانقلبوا حائرين لا يدرون ماذا يفعلون، وخاصم المتفقهة المتعصبة، فذبذبَهم، فباتوا متردِّدين، وناقش المتصوفة وأسيادهم جَماعة وحدة الوجود، فجهَّلهم، فلم يسعهم جَميعًا إلا اللجوء إلَى أسلوب المغلوبين العاجزين، الذين يريدون الانتقام من الخصم الغالب بأي ثَمن وبأي أسلوب، فتقدموا إلَى السلطة يشكون، مستخدمين أسلوبًا فرعونيًّا لإثارة الشعور: إلَى متى السكوت؟! إنه خالف الإجْماع، وسفهنا جَميعًا، وجاء بدين جديد ... إلَى متى السكوت والحالة ما وصفنا؟! إنه [يريد أن يبدل ديننا أو أن يظهر فِي الأرض الفساد؟] أسلوب فرعونِي مكرر.

من هنا دخلت حياة شيخ الإسلام مرحلة جديدة: سجن، ونفي، وتَهديد، بيد أن ذلك كله لَمْ يؤثر فِي عمل الشيخ؛ فالتدريس مستمر، ينفى من دمشق إلَى القاهرة، فيتربع الشيخ على كرسي التدريس لينشر

دررًا من المسائل العلمية، فيلتف حوله طلاب العلم، فيفيدون منه العلم أحكامًا وعقيدة، فيتضايق الوشاة من الطوائف، فيتحركون بالشكوى وطلب النفي أو السجن، فيسجن الشيخ، فيتحول السجن مدرسة ومسجدًا وخلوة، فيستغيث الوشاة بالسلطة، فينفي الشيخ إلَى دمشق، فيحيي المساجد بالعلم والمذاكرة، فترتفع أصوات الحاقدين بالشكوى، فينقل الشيخ إلَى خلوته فِي قلعة دمشق ... وهكذا دواليك؛ نفي وسجن وتدريس وفتوى وتأليف ... هكذا قضى شيخ الإسلام حياته كلها فِي خدمة الإسلام والمسلمين، وإن كان أكثر الناس لا يدركون هذه الحقيقة.

وفِي هذا المعنى يتحدث عنه تلميذه ووارث علمه ومنصبه فِي الدعوة والإصلاح العلامة ابن القيم -رحِمه الله-؛ حيث يقول: "ابتلي الشيخ من علماء السوء كما ابتلي غيره من الصالحين، وما محنة إمامه المجاهد العظيم أحمد بن حنبل إلا مثال لما تبتلى به العقول المصلحة، ولكنه يصبر ويَحتسب، بل يعد السجن نعمة من الله عنده".

ثُمَّ قال ابن القيم: "يقول شيخ الإسلام فِي ورقة كتبها من السجن: ونَحن فِي نعم عظيمة لا تُحصى ولا تعد، الحمد لله حَمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه".

ثُمَّ قال بعد كلام طويل: "كل ما يقضيه الله فيه الخير والرحمة والحكمة".

فيقول الشيخ عبارته المشهورة: "إن فِي الدنيا جنة؛ من لَمْ يدخلها؛ لَمْ يدخل جنة الآخرة".

ثُمَّ يقول: "ما يصنع أعدائي؟ أنا جنتي وبستانِي فِي صدري، أين رحت فهي معي لا تفارقِني، أنا سجنِي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة".

يقول العلامة ابن القيم بعد نقل هذه العبارة المثيرة لمن كان له قلب حي: "لا يقول مثل هذا القول إلا عظماء الرجال، الذين لا يَهمهم ما يلاقون من سجن أو قتل أو نفي فِي سبيل ما يعتقدون".

ثُمَّ يقول: "ما أقلهم! حقًّا ما أقلهم! بل هم اليوم أقل، هل يوجدون؟!". والله المستعان.



مغالطة النفاة في لقب التشبيه والتجسيم

بالغ النفاة فِي نفي صفات الله، حَتَّى سمَّوا ذلك توحيدًا كما تقدم، ثُمَّ أخذوا يبالغون فِي التشنيع، فأطلقوا على من يثبت الصفات أنه مشبه ومُجسم، وهم يعلمون لولا المغالطة أن الأقسام العقلية ثلاثة:

١- إثبات الصفات.

٢- تعطيل الصفات.

٣- التشبيه.

فالتعطيل نتيجة المبالغة فِي التنْزيه على غير هدى، والتشبيه نتيجة المبالغة فِي الإثبات على غير هدى، وأما الإثبات؛ فهو الوضع الثابت، وهو الحق، فالحق دائمًا هو الوضع الثابت، والباطل هو الأمر الطارئ، يأتِي مُخالفًا للثوابت.

ولتحقيق الحق، ووضعه فِي موضعه الثابت، وبيان الباطل، لابدَّ لنا من مناقشة هذه المغالطة.

وإذا استقرأنا كتاب الله والسنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ وآثار سلف الأمة، وتتبعنا واقع الناس فِي كل زمان ومكان؛ نَجد المشبِّهة فريقين لا ثالث لَهما:

الفريق الأول: مشبهة الخالق تعالى بِخلقه فِي ذاته وصفاته وأسْمائه

وأفعاله؛ كأتباع هشام بن حكم وغيرهم، الذين يقولون: إن الله تعالى على هيئة كذا وكذا، بل يقولون -فِي وقاحة وصلف-: إنه تعالى على هيئة الشاب الحسن! هكذا يفعل الهوى بأهله، و"**إذا لَمْ تستح؛ فاصنع ما شئت**"، ويقولون فِي صفات الله: إنَّها كصفات خلقه؛ إذ لا يعقل خلاف ذلك فِي زعمهم.

فإذا قيل فِي باب الأسْماء والصفات: المشبهة؛ فهم المرادون لدى أهل العلم والمعرفة، ولا يوجد لَهم اليوم بِحمد الله تعالى مذهب قائم له كيانه ودعاته كالفرق الأخرى، وذلك تَخفيف من الله ﷻ، وهو العليم الحكيم.

وأما اعتقاد الذين يعتقدون أو يغالطون أن كل من أثبت لله تعالى صفاته الواردة فِي كتابه أو فِي سنة رسوله على ظاهرها اللائق بالله تعالى فهو مشبه ومُجسم؛ فهذا اعتقاد فاسد وظن سيئ؛ لأن القسمة ثلاثية كما تقدم: إثبات، وتعطيل، وتشبيه.

وتفصيل ذلك معلوم لدى طلاب العلم، والحق واحد لا يتعدد، وواضح لا يلتبس على من طلبه من مظانه، وهو كتاب الله وسنة رسوله الصحيحة، وهو أبلج، ولكنَّ الباطل لجلج، ولو اطرد الباب، فأطلق على كل من أثبت صفات الله: أنه مشبه ومُجسم؛ لأدَّى ذلك إلَى الحكم على سادة الأمة وخيرها من الصحابة والتابعين أنَّهم مشبهة ومُجسمة؛ لأنَّهم يثبتون صفات الله دون أدنى توقُّف، فِي ضوء الآيات والأحاديث الواردة وليس ذلك بضارهم شيئًا؛ لأن الألقاب لا تغير الحقائق والاصطلاحات

إنَّما تَخص أهلها، ولا تلزم غيرهم.

فلفظ الجسم يختلف فيه الناس دائمًا كما هو شأن كل الألفاظ المصطلحة، والنفاة قد يريدون بالجسم كل ما يوصف بالصفات، ويرى بالأبصار، ويتكلم بكلام، ويبصر ببصر، هذه المعانِي ثابتة لله تعالى على الوجه الذي يليق به كما تقدم، دون أن يشركه أحد فِي حقائق صفاته وخصائصها ولوازمها، وإن حصل الاشتراك بين صفاته تعالى وصفات خلقه فِي المطلق الكلي الذهنِي الذي لا وجود له فِي الخارج؛ مثاله: علم مطلق غير مضاف لا إِلَى الخالق ولا إِلَى المخلوق، ولا يَختلف العقلاء فِي أن المطلق الكلي لا وجود له إلاَّ فِي الذهن، والذهن قد يتصور المستحيلات؛ لأنه حرٌّ فِي خيالاته، وأما الموجود فِي الخارج؛ فلا يوجد إلا مُختصًا معينًا.

لذلك نقول: بعد إضافة صفة الخالق إِلَى الخالق سبحانه، وإضافة صفة المخلوق إِلَى المخلوق، لا يوجد اشتراك بين صفة الخالق وصفة المخلوق، بل صفة الخالق كما يليق به، وصفة المخلوق كما يناسبه ويناسب حدوثه، وهذا أمر فِي غاية الوضوح عند أصحاب هذا الشأن؛ فليفهم جيدًا؛ لأنه مهم جدًّا، ومن ثبتت عنده هذه الحقيقة؛ استراح وأراح، وقبل ذلك؛ فهو قلق دائمًا، فلا يذوق برد اليقين.

فانطلاقًا مما قررنا؛ فإننا لا ننفي صفات الله عنه؛ خشية أن تطلق علينا المعطلة أننا مشبهة ومُجسمة، وهل نسبُّ أصحاب رسول الله ﷺ، ورضي الله عنهم؛ لئلا تطلق علينا الروافض بأننا نواصب؟! بل نُحب

أصحاب رسول الله جَميعًا، ونترضى عنهم؛ دون أن نفرق بين أحد منهم، بل هل ننفي القدر ونكذب به لئلا تصفنا القدرية بالجبر؟!

كلا، وكما أسلفنا: إن الاصطلاحات لا تغير حقائق الأمور فِي جوهرها.

وما ألطف كلام العلامة ابن القيم فِي هذا المعنى وما أصدقه؛ إذ يقول فِي قوة وشجاعة:

"ولا نرد ما أخبر به الصادق عن الله تعالى وأسْمائه وصفاته وأفعاله؛ لتسمية أعداء الحديث وأهله لنا حشوية، ولا نَجحد صفات خالقنا وعلوه على خلقه واستواءه على عرشه لتسمية الفرعونية المعطلة من يثبت ذلك مُجسمًا مشبهًا".

ثُمَّ يقول -رحِمه الله-:

"فإنِ كان تَجسيمًا ثبوت استوائه ... على عرشه إنِّي إذن لَمُجسِّم

وإن كان تشبيهًا ثُبوت صفاته ... فمِنْ ذلك التشبيه لا أتكتَّمُ

وإن كان تنْزيهًا جحود استوائه ... وأوصافه أو كونه يتكلَّمُ

فعن ذلك التَّنزيه نزهتُ ربنا ... بتوفيقه والله أعلى وأعظم

ثُمَّ يقول العلامة ابن القيم -رحِمه الله-:

"رحمة الله على الإمام الشافعي حيث فتح للناس هذا الباب فِي قوله:

أيا راكبًا قف بالمُحَصَّب من مِنى ... واهتف بقاعد خيفها والنَّاهض

إن كان رفضًا حبُّ آل مُحمَّد ... فليشهد الثقلان أنِّي رافضي

وهذا الأسلوب الذي استخدمه العلامة ابن القيم، وسمَّاه بابًا فتحه الإمام الشافعي للناس، لو تتبعناه ووقفنا عنده لنطبقه على دعاة اليوم؛ لوجدناهم مُختلفين: دعاة أوذوا فِي سبيل الله كما أوذي الأولون فِي بيان الحق والنصح للعباد فِي عقيدتِهم وعبادتِهم وأخلاقهم وأحكامهم وسياساتِهم، حَتَّى لقبوا بألقاب تنفر الناس منهم؛ من وهابية، وأصحاب الدين الجديد، والمذهب الخامس ... وغير ذلك من أنواع التنفير، وكان ذلك فِي أول بدء الدعوة، ولكنهم صبروا وتَجلدوا حَتَّى نصرهم الله وسارت الدعوة على أيديهم سيرًا حسنًا ولا تزال، فرجع الذين كانوا أعداء للدعوة أنصارًا لَها، وتغير الوضع تَمامًا.

فأذكر على سبيل المثال قصة واقعية لداعية تَخرج من الجامعة الإسلامية، فذهب ليعمل فِي بعض دول إفريقية، ولا يزال يعمل، وقد زرته فِي مقر عمله، ولقد كان هذا الداعية قويًّا فِي علمه ومعرفته، وله اطِّلاع جيد فِي علم الحديث والتفسير والعقيدة، وكان فيما يبدو لي صادقًا فِي عقيدته وتَمسكه، هكذا أظن، ولا أزكيه على الله تعالى، وهو سبحانه أعلم بنا وبه، وكان الداعية يَجلس لطلاب العلم فِي منْزله المتواضع وفِي المسجد الذي يصلي فيه علاوة على عمله فِي المدرسة؛ يعلمهم ويفقههم، ولما اشتهر فِي البلد، وانصرف إليه طلاب العلم؛ تضايق الصوفية -وأكره الناس عند الصوفية دائمًا طلاب العلم؛ لأن مشايخ الصوفية يعيشون على الزيارات والهدايا وتسخير الناس بالشعوذات

ودعوى الكرامات وإقامة حفلات الموالد وغير ذلك من الطرق الملتوية فِي حياتِهم-، فثاروا ضد الداعية المذكور، فأخذوا يؤذونه فِي نفسه، وقد يلقون الأذى على بابه ليلاً وفِي طريقه إلَى المسجد، ويعللون ذلك بأنه تعرض لأسباب معيشتهم، ونال من مكانتهم، فتقدموا بالشكوى إلَى حاكم البلدة -وهو مسيحي- فتدخل حفاظًا على الأمن كما يقولون، فحضر الداعية وخصومه من مشايخ الصوفية لدى الحاكم، فعرضت القضية.

فسأل الحاكم المشايخ: ماذا يشكون منه؟ فأرادوا أن يهوِّلوا الأمر، فقالوا: هذا الشيخ جاءنا بدين جديد يُخالف ديننا وعقيدتنا، ونَحن أصحاب الطرق الصوفية المعروفون، وما تعرض لنا أحد قبله.

فقال لَهم الحاكم المسيحي: أين تعلمتم أنتم التعليم الإسلامي؟

قالوا: تعلمنا هنا فِي بلدنا ومن بعض البلدان المجاورة لنا!

ثُمَّ قال لَهم: من أين جاءكم هذا الشيخ بالدين الجديد كما قلتم؟

قالوا: جاءنا من السعودية.

ثُمَّ قال الحاكم للداعية: يا شيخ! أين درست أنت؟

قال الداعية: درست فِي مكة المكرمة والمدينة المنورة -ولقد كان الداعية طالبًا فِي مدرسة دار الحديث المكية قبل افتتاح الجامعة الإسلامية، ثُمَّ التحق بالجامعة، فتخرج فيها من كلية الشريعة-.

فقال له: هل لديك شهادة؟

قال: نعم، لديَّ شهادة جامعية من الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

قال الحاكم للمشايخ: أنتم أمركم غريب! أليس أصل دينكم من السعودية من مكة والمدينة؟

قالوا: بلى.

قال: كيف تعادون عالِمًا يَحمل شهادة جامعية فِي الإسلام من مدينة رسولكم، وقد جاءكم من حيث جاءكم أصل دينكم؟! فأخذ يوبِّخهم بِما يستحقون.

فقال لَهم مِمَّا قال: إنه رجل مسيحي، لا يعرف الإسلام إلاَّ بالجملة، ولكنه بِحكم أنه متعلم تعلمًا عصريًّا، يدرك أن مشايخ الطرق قد تكون لديهم بعض الخرافات الَّتِي لا أصل لَها، كالتِي عند القساوسة القدماء المسيحيين، الذي يرددون بعض طقوسات لا أصل لَها فِي المسيحية؛ كالخرافات الَّتِي عند بعض المسلمين كما هو ملاحظ.

ثُمَّ قال لَهم: إنه هو وزملاؤه عندما رجعوا من أوربا حيث تعلموا وجدوا لدى القساوسة القدماء أشياء لا أصل لَها فِي المسيحية وأخشى أن يكون مثل تلك الأشياء لدى مشايخ الصوفية، وأما صاحبكم؛ فتعلم ولديه شهادة علمية؛ فعليكم أن تتعلموا عليه إن شئتم، وإلاَّ؛ فلا تتعرضوا له بعد اليوم بالأذى.

فانْهزم مشايخ الطرق، وانتصر الحق وصاحب الحق على يد حاكم مسيحي نصرًا عزيزًا غير متوقع.

من هنا ارتفع الحق فِي تلك المدينة وما جاورها، بل قد صار لتلك

القضية صدى فِي أنحاء البلاد، هكذا ظهر الحق وزهق الباطل.

«إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر»[(١)]. هكذا قال رسول الله ﷺ.

الله أكبر؛ إنه لرسول الله حقًّا.

ولقد كان لموقف الحاكم المسيحي وأسلوب مناقشته أثر كبير فِي انتشار الدعوة السلفية وهزيمة الصوفية أو خفوت صوتِهم على الأقل فِي بعض أنحاء تلك الجمهورية الَّتِي يعمل فيها ذلك الداعية، فتعتبر الجمهورية المشار إليها من أبرز الدول الإفريقية فِي نشاط الدعوة إِلَى الله فِي هذا الوقت، ولديَّ أمثلة أخرى من هذا النوع، ولكن؛ أرى الاكتفاء بِهذا المثال، وهو دليل حي على أن العاقبة للمتقين، وأن مع العصر يسرًا؛ كما أخبر الله سبحانه، وأن الحق يعلو فِي العاقبة ولا يعلى عليه وأن الفجر لابد أن يطلع وإن طال الليل، فما على الدعاة إِلَى الله إلاَّ أن يتسلحوا بسلاح العلم، ثُمَّ يوطنوا أنفسهم بالصبر وتحمل الأذى فِي سبيل الله، مع الصدق مع الله والإخلاص له سبحانه، والعاقبة لَهم؛ لأن العاقبة للمتقين، و﴿**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**﴾ [الشرح:٥-٦]. إذ لن يغلب عسر يسرين!!

وإن كان يوجد صنف آخر من الدعاة، الذين لَمْ يحالفهم التوفيق، الذين حاولوا التحبب إِلَى القوم الذين جاءوا لدعوتِهم وهدايتهم، وحاولوا مداهنة مشايخ الطرق بدعوى استعمال الحكمة واللين فِي زعمهم،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٦٢)، ومسلم (١١١) من حديث أبي هريرة ﷺ.

ولكن هذا الصنف قليل بالنسبة للدعاة الموفقين الناجحين الذين مثلنا لَهم بِمثال واحد، وبالله التوفيق.

وشبابنا الذين يتهيئون للدعوة إلَى الله على بصيرة، والذين يسلحون أنفسهم بسلاح العلم والمعرفة استعدادًا للعمل الإسلامي الواعي السلفي:

* **عليهم أولاً**: أن يَجدُّوا فِي التحصيل، وأن يكثروا من النظر فِي كتب السنة وكتب العقيدة ومباحث الإيْمان، مع النظر فِي بعض فروع اللغة العربية.

* **ثانيًا**: عليهم أن يدرسوا سير الدعاة والمصلحين قديْمًا وحديثًا؛ لينحوا نَحوهم ويسيروا على منوالِهم ويتأسوا بِهم فِي أسلوب دعوتِهم وصبرهم وعدم تأثرهم بالألقاب المنفرة الَّتِي يقصد بِها أعداء الدعوة التشنيع عليهم وتنفير الناس من قبول دعوتِهم.

* **ثالثًا**: عليهم أن يبتعدوا عن الانتماء إلَى جَماعة معية، أو حركة معينة، تدعي العمل للإسلام فيما يبدو للناس ولَها مقاصد أخرى.

ولا ينبغي لطالب العلم أن ينصب نفسه داعية لتلك الحركات والجماعات على حسابِها وباسمها وتَحت نظمها ولوائحها الخاصة موافقة للسنة أو مُخالفة، وهو لَمْ ينضج بعد علمه وعقله، ومثل هذا الانتماء من العراقيل المعوقة فِي سبيل تَحصيل العلم النافع الخالص لله وحده سبحانه، وهذه "الانتماءات" من الأمور الَّتِي تفسد القلوب، وتقضي على معنَى الحب فِي الله والبغض فِي الله، وهو معنَى يَجب أن يسود بين المسلمين.

❊ **رابعًا:** فليجاهد طالب العلم نفسه لحملها على الإخلاص لله ومراقبته، وعلى عدم التطلع إِلَى مدح الناس وثنائهم عليه والتماس رضاهم؛ لأن فِي ذلك غضب الله وسخطه؛ بِموافقتهم على ما هم عليه من البدع والخرافات؛ بدعوى استعمال الحكمة؛ كما يزعم بعض الناس، وليس ذلك من الحكمة فِي شيء؛ لأن الحكمة باختصار وضع اللين فِي موضعه، ووضع الشدة فِي موضعها.

ولا ينبغي أن يغيب عن بال طالب العلم والداعية أن الذي مدحه زين وذمُّه شين هو الله وحده، وأما مدح المخلوق فلا ينفعك، وذمه لا يضرك؛ فماذا أنت طالبٌ بِمداهنتك وتَملقك إذن؟!

فلنعد إِلَى صلب الحديث بعد هذا الاستطراد.

وأما الفريق الثانِي من المشبهة؛ فهم الذين يشبهون المخلوق بالخالق ﷻ، والذين يَمنحون سادتَهم ومشايخهم كثيرًا من صفات الله ﷻ، أدركوا ذلك أو لَمْ يدركوا؛ كالذين يعتقدون أن الشيخ المربِي العارف بالله -على حد تعبيرهم- يعلم الغيب وما تُخفي صدور المريدين والدراوشة الكادحين فِي خدمته؛ اتباعًا لتعاليم تصدرها "مشيخة الصوفية" قديْمًا وحديثًا، والَّتِي منها: على المريد أن يَحفظ خواطر نفسه وخلجات ضميره فِي حضرة الشيخ المربِي؛ لئلا يطلع الشيخ على تلك الخواطر فِي نفسه، فيهلك المريد، أو يحرم الترقي على الأقل؛ إذ لا يحصل شيء من الخير والترقي وغيره إلا بواسطة الشيخ المربِي فِي دين الصوفية؛ كما يعلم الدارس.

وهناك عندهم كلام يَجري مَجرى الأمثال، وهو قولهم: "فليكن المريد بين يدي الشيخ كالميت بين يدي الغاسل؛ فاقد الإرادة والحركة؛ إلا بتحريك الشيخ المربي فيما يَهواه".

وهذا من ضمن التعليمات الَّتِي تصدرها "مشيخة الصوفية" وهي تعليمات وثنية، تدعو إلَى عبادة غير الله كما ترى، حيث يَجعلون الشيخ المربِي عالِمًا بكل شيء قادرًا على كل شيء، وهو قادر على التصرف فِي الكون، وخصوصًا بعد وفاته؛ لأنه فِي حياته قد تشغله الخدمة —على حد تعبيرهم "يعنون: العبادة"-، وأما بعد وفاته؛ فقد تفرغ لنفع مريديه، والتصرف فِي شئونِهم، وجلب الخير لَهم، ودفع الضرِّ عنهم!!

إنَّها أقبح من وثنية المشركين الأولين: ﴿**مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلاَ لآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا**﴾ [الكهف:٥].

وهي عقيدة تحملها كتبهم ويعتقدها أتباعهم والمؤمنون بِهم والمتعاطفون معهم.

وهذا النوع من التشبيه، وإن كان لا يدرك كثير من الناس أنه تشبيه؛ ولكنه فِي واقعه تشبيه خطير وكفر بالله ورسوله وبكتابه الذي يقول الله فيه: ﴿**قُل لاَ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ**﴾ [النحل:٦٥].

وهذا التشبيه هو دين المتصوفة الغلاة، الذين يصل بِهم الغلو أحيانًا إلَى القول بالحلول، بل بوحدة الوجود، فيمثل هذه الملة من سَموه مُحيي

الدين بن عربِي الطائي، رئيس وحدة الوجود، الذي يقول فيه بعض أهل العلم: إن كفره أشد وأقبح من كفر قريش قبل الإسلام.

وهو القائل: ليس فِي الجبة إلا الله!

وهو القائل:

وما الكلب والخنْزير إلاَّ إلَهُنا وما الله إلاَّ راهبٌ فِي كنيسة

وله أتباع من الصوفية، ويشبهه فِي كفره هذا ابن الفارض، وابن عجيبة، وابن سبعين، والحلاج، وأمثالهم فِي الإلحاد.

وإمعانًا منهم فِي الكفر والبعد عن حقيقة الدين يلقبون كبراءهم بِهذه الألقاب الَّتِي تنبئ عن الشرك عند نطقها أو سَماعها:

١- الغوث الأعظم.

٢- القطب، أو قطب الزمان.

٣- الأوتاد.

.... وغير ذلك من الألقاب.

وبعد هذا الاستطراد الطويل الذي أردنا به إيضاح بعض المسائل نعود إلَى الحديث عن شيخ الإسلام الذي كنا نتحدث عن جهاده وتَجديده.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

وفاة شيخ الإسلام -رحمه الله-

بعد ذلك الجهاد الطويل والتضحية المريرة توفي شيخ الإسلام فِي السجن فِي قلعة دمشق؛ أي فِي خلوته؛ كما سَماها هو -رحِمه الله-، حيث يتجرد فيها لعبادة ربه ومناجاته وتلاوة كلامه وتدبره، بعد أن ترك للقراء مكتبة عظيمة، قد عجز الساعون فِي حصرها فِي معرفة مُحتوياتِها بصورة قاطعة؛ إذ لا تزال مؤلفات الشيخ مبعثرة هنا وهناك، وموزعة فِي العالم، وما جمعه "الشيخ عبد الرحمن بن قاسم" فِي تلك المجموعة العظيمة إنَّما هو جزء من تلك المكتبة، وقد عالج الشيخ -رحِمه الله- فِي جلِّ مؤلفاته موضوع العقيدة والدفاع عنها.

ويكفي مثالاً لذلك أن نذكر أبرز تلك الكتب من تلك المكتبة؛ منها:

١- **"منهاج السنة"**.

٢- **"درء التعارض بين العقل والنقل"**.

٣- **"كتاب الإيْمان"**.

٤- **وبعض الْمُجلدات فِي مَجموع ابن قاسم وغيرها.**

هذا وقد ورَّث الشيخ علمه ومنصبه فِي الدعوة إِلَى الله والدفاع عن العقيدة تلميذه الفذ فريد وقته ابن قيم الجوزية، فقام الوارث على التركة خير قيام؛ عرف لَها حقها، وهو أمين عليها، فلم يأل جهدًا فِي

أداء الأمانة بالانتصار لمنهج السلف؛ إذ كتب فِي الدفاع عن العقيدة السلفية كتبًا ورسائل، سلك فيها مسلك شيخه فِي إنكار المنكر وبيان الحق بالأدلة، ثُمَّ سجن كما سجن شيخه، بل توفي شيخ الإسلام والعلامة بن القيم فِي السجن فِي قلعة دمشق.

ويعتبر نشاط ابن القيم فِي الدعوة والإصلاح امتدادًا لجهاد شيخه؛ فقد ناله من الأذى جزء مِمَّا نال شيخه؛ إذ لابدَّ لكل مصلح من الأذى والابتلاء؛ لأَنَّهم يعملون على منهج الأنبياء، فأشد الناس بلاء الأنبياء، ثُمَّ الأمثل فالأمثل، ولكنه سبحانه رحْمة منه ولطفًا بالعباد يبتليهم على حسب إيْمانِهم قوة وضعفًا، فمن كان فِي إيْمانه قوة وصلابة؛ اشتد بلاؤه، ومن كان فِي إيْمانه رقة وضعف؛ خفف عنه؛ كما صحَّ بذلك حديث عن النَّبِي ﷺ.

وبعد وفاة شيخ الإسلام -رحِمه الله-؛ انفرد فِي الميدان العلامة ابن القيم، وحَمل لواء الدعوة والإصلاح، وواصل المسيرة بالدعوة، فرأى أنه قد حان الوقت للهجوم المباشر بدل الدفاع عند نقطة الحدود؛ لأن الاكتفاء بالدفاع المجرد قد يشعر بالضعف، فهاجم الجاهلية بأنواعها فِي عقر دارها، فكتب فِي ذلك كتبًا هجومية ميدانية هاجم فيها الخصوم فِي قوة المؤمن، فأزعجهم وزلزل أقدامهم، وأوقعهم فِي حيرة. منها:

١- **"الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة"**.

٢- **"اجتماع الجيوش الإسلامية فِي غزو المعطلة والجهمية"**.

وأنت ترى أن اسمي الكتابين وما احتويا عليه من العلم والأسلوب المستخدم فيهما؛ كل ذلك ينبئ أن العلامة المجاهد لا يرى الوقوف عند مُجرد الدفاع كما أسلفت، بل لابدَّ من عمل ميداني يشعر بالقوة والعزة والشجاعة.

﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨].

هكذا يكون الداعية إذا كان مُتجردًا لله ومنقطعًا إليه سبحانه وصادقًا معه وهو سبحانه عليم بذات الصدور.

هكذا واصل مسيرته في تجديد القرن السابع الهجري، وهو امتداد لتجديد القرن الثالث الهجري الذي قام به الإمام الشيباني.



استمرار الدعوة والمعارضة
" تجديد القرن الثاني عشر الهجري "

عاشت الأمة الإسلامية على آثار الأمطار الغزيرة -وإن كانت متقطعة- الَّتي هطلت على أرض الإسلام فِي فترات متلاحقة؛ بدءًا من عهد الشيباني، فرويت الأرض، فأمسكت الماء، فانتفع به من أراد الله به خيرًا من عباده.

وكلما طغت الجاهلية فِي صورة أو بِجميع صورها مُحاولة تغيير مفهوم الإسلام وإخفاء معالمه، وضاق بذلك صدر كل من يَهمه أمر الإسلام وله اهتمام بشئون المسلمين، ودعت الحاجة إلَى التجديد ونفض الغبار عن وجه الحق؛ عند ذلك يقيض الله لِهذه الأمة من يُجدد لَها أمر دينها، حَتَّى ينقشع سحاب الجهل والجاهلية؛ ليظهر وجه الإسلام مشرقًا، فيعمل به من أراد له خيرًا بفقه وفهم سليم، «**ومن يرد الله به خيرًا؛ يفقهه فِي الدين**»[(١)].

ففي القرن الثاني عشر الهجري لاحظ الداعية المجاهد الإمام مُحمَّد بن عبد الوهاب أن عاصفة هوجاء عصفت بشدة على عقيدة الإسلام وشريعته؛ لتغير معالمه، وتنقل الأشياء من أماكنها، وترمي بِها حيثما وقعت، فتغيرت بسبب ذلك مفاهيم كثيرة، فالتبس الأمر على الناس فِي

(١) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

أبواب كثيرة ومسائل عديدة، وحدثت فِي الإسلام بدع ليست من الإسلام فِي شيء.

فرأى الشاب الداعية أنه لابدَّ من إعداد العدَّة للقيام بالتجديد وإعادة الأمور إلَى وضعها الصحيح على ما كانت عليه قبل العاصفة، ورأى فيما رأى أنه لابدَّ من الازدياد من العلم والمعرفة وسعة الاطِّلاع والاتصال بالعالم المعاصر ومعرفة الأوضاع العامة للعالم الإسلامي، فقرر الخروج فِي رحلة علمية طويلة قد تشمل بعض البلدان العربية، وقد كان قبل يدرس ويتفقه على والده الشيخ عبد الوهاب، وقد كان والده قاضيًا معروفًا فِي بلدة "العيينة"، درس عليه الفقه وشيئًا من التفسير والحديث، وفِي الوقت نفسه كان يكثر من النظر فِي كتب الإمامين المجددين العملاقين: الإمام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وقد أفاد منها، بل تأثر بِها كثيرًا جدًّا.

ثُمَّ بدأ تلك الرحلة بداية مباركة موفقة، حيث بدأ بالمسجدين الشريفين المباركين، خرج حاجًّا إلَى مكة المكرمة، فحج البيت، ثُمَّ أتى المدينة النبوية، فزار مسجد رسول الله ﷺ، ثُمَّ سلم على أكرم الدعاة إلَى الله نبينا مُحمَّد بن عبد الله ﷺ وعلى صاحبيه، ثُمَّ أخذ يتصل بعلماء المدينة النبوية آنذاك؛ ليطلب العلم على أيديهم.

١- ومن العلماء الموجودين فِي المدينة آنذاك وطلب الشاب الداعية العلم على أيديهم الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف آل سيف، وهو فِي الأصل من أهل المجمعة بنجد، فلازمه الشيخ مُحمَّد بن عبد الوهاب

ملازمة، فتفقه على يده، فرأى الشيخ ابن سيف فِي الشاب ابن عبد الوهاب النبل والذكاء النادر، فتفرس فيه الخير، وأحبه، واعتني به كثيرًا، وبذل جهده فِي تعليمه.

أدرك ابن سيف أن الطالب الشاب يتألم مِمَّا يرى من الأمور الجاهلية المنتشرة هنا وهناك من الغلو فِي الصالحين وعبادتِهم، ومِمَّا عليه أهل نَجد آنذاك من عقائد باطلة وعادات جاهلية، فازداد الشيخ ابن سيف حبًّا له وتقديرًا؛ إذ ربط بينهما أقوى رابط، وهو العقيدة السليمة.

فقدمه الشيخ ابن سيف لبعض علماء المدينة؛ مثل:

٢- الشيخ مُحمَّد السندي.

٣- والشيخ علي الداغستانِي.

٤- والشيخ إسماعيل العجلونِي.

٥- والشيخ عبد اللطيف الإحسائي، وغيرهم.

وأخبرهم الشيخ بِما يكنه الشاب فِي نفسه من تضايقه الشديد من تلك الجاهلية المتنوعة من أنواع البدع والشرك بنوعيه، ورغبته فِي الإصلاح لو استطاع.

وعلى كلٍّ؛ صبر الشاب على مواصلة الدراسة فِي المدينة، فحضر على بعض من ذكرنا من الشيوخ، ولقد كان تركيزه فِي دراسته على علم الحديث، وعند عزمه على السفر ومغادرة المدينة؛ أخذ إجازة علمية من بعض مشايخه الذين حضر عليهم، وفِي مقدمتهم الشيخ ابن سيف،

فأجازه فِي "صحيح البخاري"، و"مسند الإمام الشافعي"، و"السنن الأربعة"، وغيرها من كتب الحديث؛ كما تذكر بعض المصادر.

فغادر الشيخ المدينة إِلَى البصرة، معرجًا على بلده نَجد، فأقام بالبصرة فترة من الزمن، يطلب العلم على بعض علماء البصرة، وفِي مقدمتهم الشيخ مُحمَّد المجموعي، وقد استفاد من هذا الشيخ كثيرًا من فروع اللغة العربية والحديث، فأدرك الشيخ المجموعي -وهو يدرس عليه- أن ابن عبد الوهاب ليس طالبًا عاديًّا، بل يتهيأ لأمر عظيم، يتهيأ للقيام بالدعوة الإسلامية الشاملة والإصلاح العام، إصلاح العقيدة وإصلاح الأحكام؛ ليكون الإسلام هو الحاكم وحده بدل العادات والسواليف والتقاليد والقوانين الأخرى، إصلاح السياسة فِي ضوء الإسلام، إصلاح الأخلاق ... وهكذا؛ لأن الإسلام هو المؤهل وحده للإصلاح، ولا صلاح ولا إصلاح إلاَّ بالإسلام، وأما الذين يزعمون فِي هذه الأيام أَنَّهم يريدون إصلاح المجتمع وتَهيئته لقبول الإسلام، ثُمَّ يطبقون عليهم أحكام الإسلام فيما بعد؛ فهذا تخدير للأعصاب؛ لتنام الناس ولا تتحرك فتطالب بتطبيق الشريعة، وإلاَّ؛ فبأي شيء يصلحون أولاً قبل الإسلام؟! وهل الرسول الكريم سيد المصلحين بدأ إصلاح ذلك المجتمع الجاهلي بشيء غير الإسلام؟! ثُمَّ طبق عليه شريعة الإسلام. وما هو ذلك الشيء؟ لا شيء، بل بدأ الإسلام بأصوله ثُمَّ فروعه وأحكامه، "فخير الهدي هدي مُحمَّد ﷺ".

فأخذ الداعية ابن عبد الوهاب يَجد فِي طلب العلم والتحصيل، ومع ذلك أخذ فِي مُحاولة الإصلاح المستطاع، فشرع يكتب الرسائل فِي الدعوة، وينشرها بين الناس، ويباحث الناس، ويفصل، ويبين، فصار دائم الحركة الإصلاحية المستطاعة له، وخصوصًا فِي أيام وجوده بالبصرة، فِي أواخر أيام التحصيل.

تذكر بعض المصادر أن رحلة الشيخ شملت بعد المدينة الشام والعراق، وأخذ العلم على مشاهير تلك البلاد؛ كابن سيف والسندي بالمدينة، والمجموعي بالعراق، والشيخ عبد اللطيف بالأحساء، ثُمَّ عاد إلَى بلده.



عودة الشيخ إلى نجد للدعوة والإصلاح

وبعد هذه الرحلة العلمية الموفقة الَّتِي استفاد خلالها فوائد جَمة عاد الشيخ إِلَى بلده بعد أن ازداد العلم والمعرفة، وبعد أن درس أحوال المسلمين فِي عدة بلدان، وأدرك حاجة المسلمين الماسة إِلَى الإصلاح العام من جديد، والتصحيح الجذري الفوري لعقيدتِهم نَحو ربِّهم ومعبودهم، وتصحيح موقفهم من سنة نبيهم الذي بعث لهدايتهم، والذي يسألون عنه فِي قبورهم، وموقفهم من كتاب ربِّهم الذي هجروه؛ إذ لا يرجعون إليه لمعرفة عقيدتِهم وأحكام دينهم.

بل أدرك الشيخ وتأكد أثناء جولته تلك فِي البلدان الَّتِي زارها ومِمَّا شاهده فِي وطنه نَجد أن الأمة بحاجة إِلَى القضاء على تلك الفوضى الَّتِي تعيشها؛ فلابدَّ لَها أن تنتهي؛ لتتبدل بحياة إسلامية صحيحة وشاملة لِجميع نواحي الحياة.

وانطلاقًا من هذا الإدراك؛ صمم الشيخ على القيام بالدعوة الإصلاحية العامة -كما أشرنا قبل- مستعينًا بالله وحده فِي بلده حريملاء، بِمحاولة تصحيح العقيدة، وأنكر على العوام تعلقهم بغير الله وصرف العبادة أو بعض أنواعها لغير الله؛ مثل النذر، والذبح، والخوف، والرجاء ... مِمَّا هو منتشر فِي البلد آنذاك.

وقد كان إنكار مثل هذه الأشياء جديدًا وغريبًا هناك؛ لذلك قوبلت الدعوة فِي أول الأمر بالإنكار والرد والجدال.

يقول بعض الكتاب وهو يصف الشيخ عندما بدأ بدعوته الناس إلَى توحيد الله وموقفهم منه: "حقًّا إن الموقف دقيق وحرج، يحتاج إلَى شجاعة ماضية، وإلَى إيْمان لا يبالى صاحبه بالأذى فِي سبيل إرضاء الله وإرضاء الحق الذي اقتنع به، وسبيل إنقاذ البشرية المعذبة، كما يحتاج إلَى عدة كاملة من قوة اللسان وإصابة البرهان؛ ليواجه ما يُجابه من شبهات واعتراضات لابدَّ منها، ثُمَّ إلَى مؤازر قوي يَحمي ظهره ويدافع عن دعوته".

والموقف كما وصفه الكاتب حرج جدًّا، إلا أن الله ثبت الشيخ المجدد على الدعوة؛ رغم كل تلك العقبات والصعوبات الَّتِي واجهت الدعوة فِي بدايتها وحاولت إيقافها؛ سواء من الداخل كما كان من أسرته قبل أن يتبينوا الحق، أو من الخارج كما كان من بعض أصحاب الأهواء، ولكن الله سلّم.

ولَمْ تقف الدعوة منذ بدأت لحظة واحدة، بل من حسن إلَى أحسن فِي نشاطها وآثارها.

وتذكر بعض المصادر أن والده الشيخ عبد الوهاب كان ممن نازعه فِي أول الأمر، وكذلك أخوه سليمان بن عبد الوهاب، وأخيرًا؛ قنعا بصحة الدعوة ورجعا إلَى الحق.

وفِي أثناء انشغال الشيخ بالدعوة -ولَمْ يكثر أنصاره بعد- حاول بعض السفهاء أن يقتلوا الشيخ فِي حريملاء، فغادر الشيخ تلك البلدة إلَى بلده ومسقط رأسه "العيينة" فواصل الدعوة والإصلاح هناك، حيث آزره أمير العيينة آنذاك عثمان ابن حمد بن معمر، الذي رحب بالدعوة فِي أول الأمر، بعد أن شرح له الشيخ دعوته، وأنَّها دعوة قائمة على العمل بالكتاب والسنة، وأنَّها تعنِي أول ما تعنِي تطهير العقيدة والأخلاق، وتصحيح الأحكام، حَتَّى يكون كتاب الله هو المرجع للأحكام، مفسرًا بالسنة المطهرة، وأن القائمين بِهذه الدعوة لا يريدون إلاَّ وجه الله والثواب فِي الدار الآخرة من الله وحده، فوافق الأمير على مواصلة المؤازرة.

ونشطت الدعوة، فأخذ الشيخ فِي الإصلاح العملي، فأمر بقطع بعض الأشجار الَّتِي كان الناس يتعلقون بِها، بل ويعبدونَها ويعظمونَها، وهدم قبة كانت على قبر "زيد بن الخطاب"، كل ذلك بِمساعدة الأمير عثمان.

وأخيرًا، أقام الشيخ الحد على امرأة اعترفت بالزنى عدة مرات أمامه، بعد أن تأكد من صحة عقلها ورغبتها فِي التطهير. وبعد هذه الواقعة اشتهر أمر الشيخ، وذاع صيته فِي كل مكان، فِي نَجد وما جاورها، حَتَّى كاتب بعض الأمراء الذين كانت لَهم مكانة عند ابن معمر وبينهم مصالح متبادلة يستنكرون الواقعة "إقامة الحد"، فطلبوا منه التخلي عن الشيخ، بل طلبوا إخراجه من بلده.

فأخرج الشيخ من العيينة إِلَى الدرعية سنة (١١٥٨هـ)، فنَزَل على رجل من أعيان البلد -كما تقول بعض المصادر-، وهو عبد الرحمن بن سويلم، فأقام عنده أيامًا، حَتَّى علم به أمير الدرعية الأمير مُحمَّد بن سعود، فجاءه مع بعض إخوانه وأتباعه، فزاروا الشيخ، فدعاهم إِلَى التمسك بعقيدة التوحيد الخالص. وبين لَهم أن التوحيد هو الذي بعث الله الرسل من أجله، وأنه قد ضعف اليوم فِي قلوب بعض الناس، وتلا عليهم آيات من القرآن، ودعا الله للأمير مُحمَّد بن سعود، راجيًا من الله أن يكون إمامًا يَجتمع عليه المسلمون بعد ذلك التفرق والتشتت، وأن تكون السيادة والملك له ولذريته من بعده.

فشرح الله صدر الأمير مُحمَّد بن سعود، فقبل الدعوة، وأحبَّ الشيخ وبشَّره بالنصر والوقوف معه على من خالفه فِي دعوته وإصلاحه ووقف فِي طريقه، وتعاهدا على المضي فِي الدعوة مهما كانت الظروف، فنشطت الدعوة أكثر من ذي قبل.

حيث بدأت فِي بلدة حريملاء على ضعف، ولقد كان الشيخ يَخاف على نفسه وعلى دعوته، حَتَّى خرج منها إِلَى العيينة فِي وضع متخفٍّ، إلا أنه أخرج منها كما أسلفنا، بعد أن تعرضت الدعوة لهزة عنيفة عندما بدأ الشيخ فِي التطبيق العملي وتأتِي مرحلة الدرعية، وهي المرحلة الثالثة والثابتة.

هكذا كانت سنة الله فِي المجددين المصلحين: خوف، وإزعاج، وإخراج،

ثُمَّ نصر، وثبات، وازدهار، ولا تزال كذلك، ولن تزال: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ [الفتح:٢٣].

ولنقرأ هنا وعد الله؛ إذ يقول سبحانه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [الحج:٤٠-٤١].

* * * * *

مرحلة الدرعية

من هنا دخل العمل مرحلة جديدة، دعوة جادة آمنة؛ إذ شرع الشيخ المجاهد يدعو ويصلح ويعلم ويصحح، والمؤازر يتابع سير الدعوة ويحمي ظهرها بسيفه، حَتَّى ظهرت الدعوة، وظهر أمر الشيخ، فأخذت الوفود تفد على مركز الدعوة "الدرعية" حَتَّى ندم الأمير ابنُ معمر على إخراج الشيخ، فجاء إِلَى الشيخ ليستسمحه، فسامحه الشيخ.

من هنا أقبل الناس على العلم والعبادة والجهاد فِي جوٍّ هادئ وآمن، يؤمر فيه بالمعروف، وينهى فيه عن المنكر، ويعز فيه أهل طاعة الله من العلماء وطلاب العلم، ويذل فيه أهل العناد والفساد.

ثُمَّ رأى الشيخ أنه لا يكفي أن يقف عند الإصلاح المحلي فِي الدرعية وما جاورها، بل لابدَّ من السير بالدعوة إِلَى الأمام؛ فلابدَّ من التبليغ بِجميع الوسائل المتاحة له، فأخذ الشيخ يراسل الرؤساء والأمراء والقضاة فِي المنطقة، فمنهم من هداهم الله، فأطاع، فرجع إِلَى الحق، فصار من أنصار الحق وأنصار دعاة الحق، وهم الكثيرون، ومنهم من عاند، وسخر من الدعوة، وركب رأسه، وتلك سنة الله كما علمنا فِي تاريخ الدعوة والدعاة.

*** *** *** *** ***

بدء التعليم الجاد والتأليف

فأخذ الشيخ بِجانب ذلك التعليم والتدريب الجاد يؤلف كتبًا ورسائل، أكثرها فِي توحيد العبادة، الذي يرى الشيخ أن حاجة الناس إليه أمس من حاجتهم إلَى أي علم آخر، وهو الواقع، بل لَم يكتف الشيخ بالتأليف، بل بدأ يحاول القضاء على تلك الشائعة الَّتِي تسبق الدعوة إلَى كل مكان، فجعل يعالج تلك الشائعة المغرضة بإصدار رسائل متنوعة ترسل إلَى الخارج، تبين موقف الشيخ ودعوته من الأئمة الأربعة، وأنه موقف احترام وتقدير لَهم، وليس موقف منافس لَهم، ولا استخفاف بِمذاهبهم؛ كما يشيع خصوم الدعوة.

أجل؛ أثبت الشيخ بِما كتب وبثّ بين الناس أنه لَمْ يأت بِما يخالف ما عليه أئمة الهدى من الأئمة الأربعة وغيرهم -وهم كثيرون- من الدعوة إلَى التمسك بكتاب الله وتحكيمه بين الناس والتحريض على التمسك بِهدي رسول الله ﷺ وعدم تقديْم قول أحد على قول رسول الله ﷺ؛ لأنه رسول الله؛ فكيف يقدم قول إنسان عادي على قول رسول مرسل من الله ﷻ؟!

ومِمَّا دعا إليه الأئمة الأربعة وكبار أصحابِهم عدم التقليد الأعمى، وهو عنوان مهم فِي دعوة كل مصلح، وقد أطبق الأئمة على ذلك؛

حرصًا منهم على تَجريد المتابعة لرسول الله ﷺ، وكذلك فعل كل مصلح بعدهم؛ كالإمام ابن تيمية، وتلميذه ابن قيم الجوزية، يعلم ذلك كل من نظر فِي كتبهم ومؤلفاتِهم، وهو من الأمور الَّتِي قام بتجديدها مُجدد القرن الثانِي عشر.

وقد بثَّ الشيخ عدة رسائل لبيان موقفه ومنهجه فِي دعوته؛ منها رسالة فِي القدر والقضاء، ورسالة فِي بيان موقفه من أصحاب رسول الله ﷺ، وموقفه من نصوص الصفات فِي الكتاب والسنة من إمرارها كما جاءت على منهج السلف، وأنه ليس له منهج آخر مُخالف لمنهج السلف، وقد وصلت تلك الرسائل إِلَى أقطار كثيرة، يريد الشيخ من بثها وإرسالِها أن يعرف الناس دعوته وعقيدته على الحقيقة والواقع، وقد سجلت أكثر تلك الرسائل فِي كثير من تراجمه.

وأستحسن هنا أن أنقل رسالة واحدة من تلك الرسائل، وهي الَّتِي تعالج موضوع الصفات، وتبين عقيدته، أنقلها بنصها؛ لأن ذلك أبلغ فِي المراد، وأوقع فِي النفوس.

يقول الشيخ بعد الديباجة المعتادة والتسمية والصلاة والسلام على خير الأنام مُحمَّد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام: نص الرسالة:

الذي نعتقده وندين به هو مذهب سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين والتابعين لَهم بإحسان من الأئمة الأربعة وأصحابِهم ﷺ، وهو الإيْمان بآيات الصفات وأحاديثها، والإقرار بِها، وإمرارها كما جاءت؛

من غير تشبيه ولا تَمثيل ولا تعطيل.

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

وقد رضي الله لأصحاب نبيه ومن تبعهم بإحسان الإيْمان، فعلم قطعًا أَنَّهم المراد بالآية الكريمة.

قال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨].

فثبت بالكتاب أن من اتبع سبيلهم؛ فهو على الحق، ومن خالفهم فهو على الباطل، فمن سبيلهم فِي الاعتقاد: الإيْمان بصفات الله وأسْمائه، الَّتِي وصف بِها نفسه فِي كتابه وتنْزيله، أو على لسان رسوله ﷺ؛ من غير زيادة عليها، ولا نقصان فيها، ولا تَجاوز لَها، ولا تفسير ولا تأويل لَها بِما يُخالف ظاهرها، ولا تشبيه بصفات المخلوقين، بل أمروها كما جاءت، وردوا علمها إلَى قائلها، ومعناها إلَى المتكلم بِها، وأخذ ذلك الآخر عن الأول، ووصى بعضهم بعضًا بحسن الاتباع، وحذرونا من اتباع طريق أهل البدع والاختلاف، الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام:١٥٩].

وقال: ﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:١٠٥].

والدليل على أن مذهبهم ما ذكرنا: أنَّهم نقلوا إلينا القرآن العظيم، وأخبار رسول الله -عليه الصلاة والسلام-؛ نقل مصدق لَها، مؤمن قابل لَها، غير مرتاب فيها، ولا شاك فِي صدق قائلها، ولَمْ يئولوا ما يتعلق بالصفات منها، ولَمْ يشبهوا بصفات المخلوقين؛ إذ لو فعلوا شيئًا من ذلك؛ لنقل عنهم، بل زجروا من سأل عن المتشابه، وبالغوا فِي كفه؛ تارة بالقول العنيف، وتارة بالضرب.

ولما سئل مالك -رحِمه الله- عن الاستواء؛ أجاب بِمقالته المشهورة وأمر بإخراج الرجل، وهذا الجواب من مالك فِي الاستواء شاف كاف فِي جميع الصفات؛ مثل النُّزول والمجيء واليد والوجه ... وغيرها، فيقال فِي النُّزول: النُّزول معلوم، والكيف مَجهول، والإيْمان به واجب، والسؤال عنه بدعة ... وهكذا يقال فِي سائر الصفات، وهي بِمثابة الاستواء الوارد به الكتاب والسنة.

وثبت عن الربيع بن سليمان؛ قال: سألت الشافعي ﷺ عن صفات الله تعالى فقال: "حرام على العقول أن تمثل الله، وعلى الأوهام أن تَحده، وعلى الظنون أن تقطع، وعلى النفوس أن تفكر، وعلى الضمائر أن تتعمق، وعلى الخواطر أن تحيط، وعلى العقول أن تعقل؛ إلا ما وصف به نفسه على لسان نبيه -عليه الصلاة والسلام". اهـ.

وثبت عن إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني: أنه قال: "إن أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة يصفون ربّهم بصفاته الّتي نطق بها كتابه، وشهد له بها رسوله ﷺ، على ما وردت به الأخبار الصحاح، ونقلته العدول الثقات، ولا يعتقدون بها تشبيهًا بصفات خلقه، ولا يكيفونَها تكييف المشبهة، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه تحريف المعتزلة والجهمية، وقد أعاذ الله أهل السنة من التحريف والتكييف، ومنَّ عليهم بالتفهيم والتعريف، حتّى سلكوا سبيل التوحيد والتنْزيه، وتركوا القول بالتعطيل والتشبيه، واكتفوا في نفي النقائص بقوله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

وبقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:٣-٤].

وثبت عن الحميدي شيخ البخاري وغيره من أئمة الحديث: أنه قال: "أصول السنة ... (فذكر منها أشياء، وقال:) ما نطق به القرآن والحديث؛ مثل:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة:٦٤].

ومثل: ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر:٦٧].

وما أشبه هذا من القرآن والحديث؛ لا نرده ولا نفسره، ونقف على ما وقف عليه القرآن والسنة، ونقول: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥].

ومن زعم غير هذا؛ فهو جهميّ.

فمذهب السلف -رحْمة الله عليهم-: إثبات الصفات، وإجراؤها على ظاهرها، ونفي الكيفية عنها؛ لأن الكلام فِي الصفات فرع عن الكلام فِي الذات، كما أن إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات كيفية ولا تشبيه، وكذلك الصفات، وعلى هذا مضى السلف كلهم"اهـ.

ولو ذهبنا نذكر ما اطَّلعنا عليه من كلام السلف فِي ذلك؛ لطال الكلام جدًّا.

فمن كان قصده الحق وإظهار الصواب؛ اكتفى بِما قدمنا، ومن كان قصده الجدال والقيل والقال؛ لَمْ يزده التطويل إلا الخروج عن سواء السبيل، والله الموفق"اهـ.

وما سردناه نص رسالة الشيخ فِي عقيدته فِي الصفات والأسْماء، وهي واحدة من تلك الرسائل الَّتِي كان الشيخ قد أرسلها إلَى الأقطار والأمصار، يشرح فيها عقيدته ودعوته وتجديده.

وفِي هذه الرسالة أثبت الشيخ أن من عقيدة الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان: الإيْمان بصفات الله تعالى كما جاءت، دون مُحاولة إدراك الكيفية، ودون تجاوز للقرآن والحديث.

هذه طريقة الإمام أحمد بن حنبل ومنهجه؛ حيث يقول: "لا يتجاوز الكتاب والسنة فِي باب الصفات" أو عبارة قريبة من هذه.

وقد أثبت الشيخ ابن عبد الوهاب فِي هذه الرسالة مذهب السلف، وأقام الدليل على ذلك؛ إذ يقول -رحِمه الله-: "والدليل على مذهب ما

ذكرنا أَنَّهم نقلوا إلينا القرآن العظيم وأخبار رسول الله ﷺ نقل مصدق لَها مؤمن بِها قابل لَها غير مرتاب فيها ولا شاكٍّ فِي صدق قائلها، ولَمْ يئولوا ما يتعلق بالصفات منها ..." إلَى آخر ما ورد فِي الرسالة المذكورة.

وهو استدلال دقيق كما ترى، وهذه طريقة علماء السلف قديْمًا وحديثًا فِي إثبات أقوالَهم بالأدلة، وهو المنطق السليم المقبول لدى العقلاء، لا الجدل العقيم الذي لا ينتج.

ولقد كانت دعوة الشيخ دعوة تساير الواقع، ولا تضرب فِي الخيال الباطل، ولا تَميل إلَى استعمال الأسلوب المخدر، ولكنها تشخص الداء، وتضع الدواء على الداء، وربَّما اضطرت إلَى عملية البتر؛ بصرف النظر عن الألم المؤقت الذي قد يؤذي المريض، ولكن العاقبة تبقى دائمًا مَحمودة -على عكس الأسلوب الذي يوهم المرضى أَنَّهم ليسوا بِمرضى ولكنهم فِي غاية الصحة-؛ لأَنَّها تصارح المرضى بِمرضهم، وتسعى فِي علاجه والوصول إلَى الصحة والعافية؛ دون أن تلهيهم بالطموحات السياسية الكاذبة.

وبذلك تراها تركز على مُحاربة أنواع من التقاليد المتبعة فِي المنطقة، وهي مجموعة من الوثنيات: دعوة غير الله، والاستغاثة بغيره، والذبح والنذر والتوسل المبتدع، وشد الرحال إلَى غير المساجد الثلاثة، والبناء على القبور وكسوتُها وإسراجها والعكوف عند الأضرحة؛ لأن بعضها شرك ظاهر، وبعضها من وسائل الشرك، والنهي عنها من باب سد الذرائع، وهو باب مهم فِي الفقه الإسلامي كما يعلم طلاب العلم.

هل تأثرت الدعوة بوفاة المجدد والمؤازر

توفي الإمام مُحمَّد بن سعود مؤازر الدعوة السلفية والمجاهد دونَها سنة ١١٧٩هـ، ثُمَّ الشيخ مُحمَّد بن عبد الوهاب سنة ١٢٠٦هـ؛ -رحِمهما الله-؟!

فهل يا ترى ماتت الدعوة بِموتِهما، أو تأثرت، أم أَنَّها استمرت؟!

مِمَّا ينبغي التفطن له أنك لو راجعت التاريخ؛ تَجد الحقيقة الآتية ولا مَحالة: أَيَّما دعوة يقوم بِها مصلح أو مُجدد، إذا كان منشؤها مُجرد اجتهاد ذو فكر بشري يُحاول الإصلاح والتجديد؛ فإنَّها تَموت أو تضعف على الأقل بِموت صاحب الفكرة ومنشئ الحركة.

وهناك دعوة لا تَموت بِموت الداعية المسئول عنها.

فإذن؛ لابدَّ لنا من معرفة الفرق بين الدعوة الَّتِي تَموت بِموت صاحبها، والدعوة الَّتِي تبقى بعده، بل تسير ولا تقف، ولبيان ذلك نقول: هُما دعوتان:

١- دعوة أنشأها مفكر ما بعد أن فكر وقد خطط ووضع شروطًا يرى أنه لابدَّ منها لنجاح دعوته؛ بصرف النظر: هل هي موافقة للسنة أو مُخالفة لَها؟! كما يضع لَها لوائح داخلية تسير عليها الدعوة، وتلتزم بِها، حيث يرى أن دعوته تَخدم الأمة أو تخدم جَماعة من الناس تؤمن

بِها، ثُمَّ تسعى فِي إقناع الناس بفكرته وصلاحيتها وبيان أهدافها والدعاية لَها، متتبعة جَماعة من الناس، فيكوِّنُ حزبًا يتحزبون له وينصرونه.

فلا يخلو الأمر لاستمرار هذه الدعوة أو عدم استمراريتها بعد موت صاحبها من إحدى حالتين:

* **الحالة الأولى**: أن يَموت صاحب الفكرة رئيس الدعوة قبل أن يرى له من يخلفه ويقود الدعوة من بعده؛ ففي هذه الحالة تَموت الدعوة فور موت صاحبها لا مَحالة، وهي قضية مسلمة عقلاً، وعلى هذا تجري نواميس الحياة، بصرف النظر عن الأمور الخارقة للعادة.

* **الحالة الثانية**: أن يَموت صاحب الفكرة، وقد وُجد من يخلفه، وهو مؤهل للقيادة، ومتفاعل مع الدعوة؛ ففي هذه الحالة قد تبقى الدعوة فترة من الزمن قد تطول وقد تقصر، ولكنها تتلاشى مع الزمن وتتأثر وتفقد قيمتها ثُمَّ تَختفي، والتاريخ خير شاهد على ما ذكرت؛ لأن أساسها فكرة رجل وتَخطيط بشري، والمفكر المخطط قد مات وانتهى، إذن؛ لابدَّ أن تنتهي ولا مَحالة.

والشواهد كثيرة فِي واقع العالم المعاصر، ولا حاجة لسردها، بل المستحسن إجْمالُها.

٢- أما الدعوة الثانية؛ فدعوة قام بِها مصلح مُجدد، بيد أن معنى التجديد هاهنا يختلف عن معناه فِي الدعوة الأولى؛ فالدعوة الأولى -كما قلنا- أساسها فكر بشري، وهي تُحاول أن تدعي أن تأتِي بِجديد،

وربَّما تأتِي بجديد فعلاً، قد يقبل وقد يرفض، وعلى كلٍّ؛ هي مُحاولة بشرية لا صلة لَها بالوحي. وأما الدعوة الثانية؛ فأساسها دين إسلامي ثابت وقائم بالفعل، ولكن صاحبها لاحظ أن المسلمين هجروا تعاليم الإسلام أو بعضها؛ إذ رآهم هجروا كتاب ربِّهم وأهملوا سنة نبيهم، فلم يعد القرآن مرجعًا لَهم فِي عقيدتِهم وفِي عباداتِهم ومعاملاتِهم وغير ذلك، ولَمْ تكن السنة ذات قيمة لديهم، فدعاهم إلَى العودة إلَى الإسلام؛ ليفهموه كما فهمه سلفهم، ويفسروه كما فعل الأولون من المسلمين، ويطبقوا أحكامه ويعتقدوا عقيدته.

وهذا معنى التجديد بالنسبة للدعوة الثانية، إذن ليست هي فكرة بشرية، ولكنها تجديد للشريعة الإسلامية وعقيدتِها، وإصلاح ما فسد من أمور الدين؛ فمثل هذه الدعوة سوف تبقى بعد موت المجدد.

فدعوة ابن عبد الوهاب من هذا النوع الثانِي -كما ترى- ولِهذا فإنَّها لَمْ تَمت بِموت مؤازرها أولاً، ثُمَّ موت مُجددها المصلح ثانيًا فالدعوة الإسلامية باقية وستبقى -بإذن الله- ما بقي الإسلام الذي هو أساسها حَتَّى يرفع الله كتاب الإسلام من الأرض عندما يأذن الله بانتهاء الدنيا.

ولما توفي الإمام المجدد، وقبله الإمام المؤازر، تسلم قيادة الدعوة رجال أمناء؛ دعوة ومؤازرة وتأييدًا أو دفاعًا عنها، وهم علماء آل الشيخ وتلامذتُهم، وملوك وأمراء آل سعود، واستمرت الدعوة فِي سيرها، تفتح البلاد وقلوب العباد، ولا تزال تسير سيرًا حسنًا وحثيثًا، حَتَّى بلغت

اليوم أماكن ما كان يظن أنَّها تصلها فِي عرض الدنيا وطولِها، وستواصل سيرها بإذن الله وتوفيقه، ولا يضرها من خالفها، حَتَّى تزحزح جميع تلك الأفكار المعارضة لها؛ ليظهر نور التوحيد الخالص، وتحكم الشريعة أرجاء الدنيا؛ لأن العاقبة للمتقين.

وأصحاب هذه الدعوة لا يفترون إن شاء الله، بل يعملون ويبلغون، وكلهم أملٌ بل يقينٌ بالنصر والظهور والبقاء، إيْمانًا منهم بأخبار الصادق المصدوق مُحمَّد رسول الله ﷺ، الذي بشر دعاة الحق وأصحاب العقيدة الحقة بالنصر والظهور، وعدم تأثير المخالفين فيهم وفِي دعوتِهم، مهما حاولوا خذلانَهم إذ يقول ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حَتَّى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون**»[(١)].

ولفظ مسلم من حديث جابر: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون، على الحق ظاهرين، إلَى يوم القيامة، فينْزل عيسى بن مريم، فيقولون له: تعالى صل بنا، فيقول: لا؛ إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة أكرم الله بِها هذه الأمة**»[(٢)].

وفِي حديث أبي هريرة عن ابن ماجه: «**لا تزال طائفة من أمتي قوَّامة على أمر الله، لا يضرها من خالفها**»[(٣)].

وفِي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند الحاكم: «**لا تزال طائفة من**

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٢٠) من حديث ثوبان رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (١٥٦) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٧٢٩١).

أمتي ظاهرين على الحق حَتَّى تقوم الساعة»[1].

ويُعد هذا علمًا من أعلام النبوة لرسول الهدى مُحمَّد ﷺ.

وقد جَمع أهل العلم بين هذه الأحاديث وبين الحديث القائل -وهو صحيح-: «**لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق**»[2]. بأن المراد بِهذه الغاية "حَتَّى"؛ أي: قرب قيام الساعة، وذلك حيث تأتِي الريح فتقبض روح كل مؤمن، وهو المراد بأمر الله هنا. هكذا قالوا، وهو صنيع حسن وتوفيق موفق إن شاء الله.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) أخرجه الحاكم (٤/٤٩٦) من حديث عمر ﷺ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٢٨٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٤٩) من حديث ابن مسعود ﷺ.

آثار الدعوة السلفية في البلاد السعودية

وهذه الدعوة السلفية المباركة لَها آثار مَحلية فِي الديار السعودية، وهي ملموسة لمس اليد لكل من يعيش فِي هذه البلد مواطنًا أو وافدًا على السواء، ولَها آثار خارجية ليست أقل وضوحًا من الآثار المحلية.

أما الآثار المحلية؛ فيمكن أن نوجزها فِي فقرتين:

١- **الفقرة الأولى** ومن أبرزها وأعمِّها نفعًا للبلاد والعباد: قيام دولة إسلامية سلفية فِي قلب الجزيرة العربية "**الحكومة السعودية**" الَّتِي أعلنت أن دستورها القرآن الكريم، وحكمت شريعة الإسلام فعلاً، وليس مُجرد دعوى، وحافظت على المقدسات الإسلامية، مكة المكرمة، والمدينة النبوية، حَتَّى مكنها الله فِي الأرض، فأمرت بالمعروف ونَهت عن المنكر، فمنحها الله من التوفيق والسداد والمنعة والمهابة ما لَمْ يمنح غيرها، فتمتع المجتمع السعودي بِما لا يتمتعُ به أيُّ مُجتمع آخر من نعمة الأمن والاستقرار والرفاهية فِي الحياة، كلُّ ذلك بفضل الله تعالى ومنِّه وكرمه وهو المنعم المتفضل، ثُمَّ بفضل تحكيم شريعة الإسلام والتمسك بالعقيدة الإسلامية السلفية والدفاع عنها ومؤازرتِها وتشجيع القائمين بِها، وهو أمر ملموس لمس اليد، لا يحتاج إلَى دليل كما قلت، فنسأل الله التوفيق للجميع، ولنشكر الله على هذه النعمة، لتدوم؛ فقيد النعم الشكر، ومن أسباب زوالِها الكفران، أو

مقابلتها بالمعاصي والإعراض عن الله وعن تعاليم دينه عمليًّا.

ومُجرد الدعوى لا يجدي عند الله تعالى؛ لأنه سبحانه عليم بذات الصدور، ولا تنطلي عليه الأمور والتصريحات الجوفاء والهتافات الَّتِي تَملأ الأجواء، ولنكن صادقين مع الله العليم بذات الصدور.

وبعد؛ ثُمَّ أواصل كلامي فأقول: ولَمْ توجد فِي العالم المعاصر دعوة إسلامية قامت على منهجها دولة إسلامية غير دعوة الإمام مُحمَّد بن عبد الوهاب -رحِمه الله- ولعل الله علم -وهو العليم الخبير- من الإمامين -ابن سعود وابن عبد الوهاب- الصدق والإخلاص له سبحانه فِي عملهما، والله لا يقبل إلا العمل الخالص له، فحقق الله على أيديهما للأمة السعودية هذا الخير، ثُمَّ بارك الله لَهما فِي ذريتهما، حَتَّى واصلت المسيرة، فها هي الآثار تتحدث بنفسها.

هكذا تجسدت الدعوة السلفية المباركة فِي قيام الدولة السعودية فِي قلب الجزيرة العربية؛ لتكون ملجأ لكل مسلم مضطهد فِي دينه فِي أي أرض، ولله الحمد وحده والمنة.

٢- **وأما الفقرة الثانية** من آثار الدعوة المباركة؛ فتتجسد فِي المنهج الدراسي المتبع فِي السعودية، فقد التزمت جهات التعليم فِي السعودية أن يكون المنهج المقرر بالنسبة للمواد الدينية هو المنهج السلفي فِي جميع المراحل، بدءًا من المرحلة الابتدائية، وانتهاءًا إلَى الدراسات العليا.

فالشاب السعودي يبدأ فِي دراسة العقيدة على المنهج السلفي من

السنة الأولى الابتدائية، ثُمَّ يواصل دراسة العقيدة والشريعة الإسلامية على المنهج نفسه بتوسع مطرد ومتفاوت إِلَى درجة الدكتوراه، كما ينهج هذا المنهج نفسه الطلاب الوافدون من خارج البلاد للدراسة فِي الجامعات الإسلامية السعودية، ليتخرجوا على ذلك المنهج السلفي، ثُمَّ يعودوا إِلَى بلادهم، لينذروا أقوامهم إذا رجعوا إليهم، ويدعوهم على المنهج الذي درسوه، الذي أصبح غريبًا لدى الكثيرين، وهم قد درسوه وآمنوا به، فلا يوجد فِي الجامعات الإسلامية السعودية ولن يوجد -إن شاء الله- منهج منافس يزاحم المنهج السلفي كما أشرنا سابقًا، وذلك من ثَمرات جهاد ذلك الإمام السلفي المصلح الذي قضى على كل بدعة مُحدثة فِي الدين.

فإذن؛ يعتبر بِحق المنهج السلفي من أعظم آثار تلك الدعوة المباركة.

ومِمَّا يحرص عليه المربون دائمًا أن يكون المنهج صالِحًا، ثُمَّ يكون المعلم صالِحًا. فإذا كان المنهج صالِحًا والمعلم صالحًا واعيًا، وعضوًا نافعًا فِي المجتمع؛ فالمجتمع الذي يتألف من مثل هؤلاء الشباب الصالحين، الذين درسوا ذلك المنهج الصالح، وتخرجوا على أيدي الرجال الصالحين؛ هو المجتمع المسلم حقًّا، الذي يفهم معنى الإسلام، ويعتني بالإسلام، ولا يبغي به بدلاً، ولا يرضى سواه، بل يرضى بالله ربًّا، وبالإسلام -بِمفهومه صحيح- دينًا، وبِمحمد ﷺ نبيًّا ورسولاً وقدوة وإمامًا.

فإذا تحققت هذه المعانِي بإذن الله، يكون الفضل لله ثُمَّ للمصلح

المجدد الذي دعا الناس إلَى هذا الخير وذلك الهدى، فيكون له أجر كل من عمل بالمنهج الذي دعا إليه وبيَّنه للناس، ولا ينقص من أجور العاملين به شيء من الأجر، هكذا بشر الصادق الأمين مُحمَّد رسول الله ﷺ دعاة الحق الذي يُحاولون رد الناس إلَى الجادة بدل "بُنيَّات الطريق" المضللة؛ إذ يقول ﷺ: **«من دعا إلَى هدى؛ فله أجره وأجر من عمل به إلَى يوم القيامة»**[(١)]. ويقول ﷺ: **«الدَّال على الخير كفاعله»**[(٢)].

فتصديقًا لِهذا الخبر الصادق من نبي الله ﷺ نرجو أن يكون له ولمن آزره وساعده على الدعوة مثل أجر من عمل بِهذا المنهج السلفي الصالح بعده؛ إذ تعتبر حجر الأساس لما يتمتع به اليوم المجتمع السعودي من سلامة العقيدة وتحكيم الشريعة والاستقامة على الدين، وما يتمتع به الطلاب السعوديون والطلاب الوافدون على بعض الجامعات الإسلامية السعودية من دراسة ذلك المنهج الصالح البريء هو إنقاذ لَهم من تلك السموم الَّتِي دُسَّت فِي كثير من المناهج الدراسية فِي كثير من الجامعات ودور التعليم فِي العالم المعاصر، من آراء أهل الكلام والفلسفة وشطحات الصوفية وغيرها من أنواع الإلحاد.

فجزى الله مُحمَّد بن عبد الوهاب ومُحمَّد بن سعود خير ما يَجزي به الدعاة الصالحين، وتقبَّل منهما عملهما؛ إنه جواد كريم.

---

(١) أخرجه مسلم بنحوه (٢٦٧٤) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٩٣) من حديث أبي مسعود الأنصاري ﷺ، ولفظه: **«من دلَّ على خير فله مثل أجر فاعله»**.

آثار الدعوة السلفية في العالم المعاصر

إن هذه الدعوة المباركة تعتبر -كما قال بعض المستشرقين-: "الشعلة الأولى لليقظة الإسلامية الحديثة في العالم الإسلامي كله"، هكذا صرح بعض المستشرقين، والخير ما شهدت به الأعداء.

حقًّا؛ إنَّها الشعلة الحديثة للصحوة الإسلامية ولليقظة الواعية الَّتِي تنتهج منهج السلف الصالح، والذي ينحصر فيه كل خير وكل فضيلة، وهذا الاتباع أو التمسك بِمنهج الرعيل الأول هو سر البركة، ولذلك تَجد آثارها ظاهرة اليوم فِي جَميع قارات العالم تقريبًا، وبصفة خاصة فِي القارة الإفريقية، الَّتِي انتشرت فيها المدارس السلفية بشكل يلفت النظر، وقد فتحت لَها فيها آفاقًا واسعة، فتلك المدارس المنتشرة هنا وهناك تدرس المنهج المتبع فِي السعودية نفسه، وهو المنهج السلفي الذي سبق أن تَحدثنا عنه، وكذلك الحال فِي القارة الهندية، حيث توجد فِي بعض ولايات الهند وفِي باكستان مدارس وبعض الجامعات الأهلية تدرس المنهج نفسه فِي المواد الدينية.

وقد كثر فِي العالم المعاصر من ينهجون المنهج السلفي، مؤمنين به، داعين إليه، يعرفون فِي القارة الهندية بـــ"السلفيين"، وبـــ"أهل الحديث"، وفِي بعض الدول العربية وغيرها يعرفون بـــ"أنصار السنة المحمدية"؛

كمصر، والسودان، والصومال، وتايلاند، ويعرفون فِي الشام بـــ"السلفيين"، وكلهم يُنادون بالعودة إلَى الإسلام عقيدة وأحكامًا بِمفهومه الصحيح، وأن يهجر علم الكلام الذي حال بين الناس وبين فهم العقيدة الصحيحة الَّتِي كان عليها الرعيل الأول، ويستبعد من المنهج الدراسي فِي جَميع المراحل، ويستبدل به المنهج السلفي الذي مصدره كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ الذي لا يعرف عند السلف غيره.

وللجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية وجامعة الإمام مُحمَّد بن سعود الإسلامية بالرياض موقف كريم وعمل صالح ونشاط مشكور فِي انتشار العقيدة السلفية فِي تلك المناطق النائية فِي إفريقية وشرق آسيا والقارة الهندية وفِي كثير من الدول العربية، يتمثل ذلك فِي الطلاب الوافدين على هاتين الجامعتين من تلك الأقطار، فيتخرجون منهما كل عام بأعداد متفاوتة؛ ليرجعوا إلَى بلادهم؛ لينذروا أقوامهم، ولينشروا فيهم العقيدة السلفية السليمة، فنسأل الله للقائمين عليهما مزيد من التفويق والإخلاص لله سبحانه.

وأخيرًا؛ فإن العقيدة الإسلامية السلفية لا تزال تسير كما أسلفنا سيرًا حثيثًا وهادئًا، وهي فِي تقدم مطرد، ولا يكاد يرجع عنها من دخل فيها رغبة عنها إذا عرفها على حقيقتها: سَماؤها تَمطر دون بروق أو رعود مزعجة، بل تُمرط "ديَمًا" ذلك المطر الذي ينْزل فِي هدوء تام ويدوم، ولكنه لا يجرح الأرض ولا يَحفرها، بل يروي الأرض حَتَّى

تَخصب وتنبت وتعطي خيراتِها.

وأصحاب هذه العقيدة لا يَحملون الطبول معهم حين يعملون فِي نشرها وحين يبلِّغون، وإنَّما يعرف عملهم بنتائجه وثَمراته، ويصدق على هذه العقيدة وسيرها قول القائل:

ما لِي بِمثل سيرك المتمهل　　　تَمشي رويدًا وتأتِي بالأول

هذا؛ ونسأل الله تعالى التوفيق والإخلاص، إنه خير مسئول وأكرمُ مُعطٍ، وصلى الله وسلم وبارك على رسول الهدى ونبي الرحمة مُحمَّد وآله وصحبه.

وكان الفراغ من إعدادها ليلة الأربعاء

٧/٧/١٤٠٩هـ

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

خاتمة

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لَم يعلم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه.

وبعد: فإن العبرة في التأليف ليس بالكمّ العددي في السطور والصفحات، وإنَّما العبرة فيه بالكيف المتقن الذي يُجَلِّي الحق ويثبته، ويَمحو الباطل ويزهقه.

وكم من مؤلفات نُمِّقَتْ فيها العبارات، واختيرت لها قوارع الكلمات، فإذا قرأها العاقل الفطن، شعر منذ البداية بِمَلَلٍ، ولَم يخرج من قراءته بشيء له أدنى فائدة، وإن خرج بشيء منها، خرج بما يَملأ الصدر غثيانًا، ويكاد يصيح منها بِملءِ فِيْهِ: يا ليتني لَم أقرأ هذه السطور الهازلة.

أما المؤلفات الَّتِي لا تكلف فيها، بل تجيء عباراتُها عفو الخاطر دون تعمد تنميق أو تزويق، ابتغاء بيان الحق ساطعًا يُبدِّدُ به ظلام الباطل، فإن العاقل اللبيب إذا قرأها لَم يشعر منها بأي ملل، بل يميل إلى الاستزادة من القراءة فيها عاكفًا حتَّى يأتي عليها إن أمكنه في جلسة واحدة.

ولو أن المسلم قرأ هذا الْمُؤَلَّف "**العقيدة الإسلامية وتاريخها**" الذي ألفه فضيلة الشيخ الدكتور/ محمد أمان بن علي الجامي، في أناةٍ وتروٍّ، لَمَا ملَّ من قراءته، ولعلم منه حقيقة التوحيد، وأفكار الفرق الَّتِي نسبت نفسها إلى الإسلام زورًا، وخطورتها وأثرها السيئ في بلبلة العقول وإمراض القلوب.

ولو علم المسلم ذلك لنبذ تلك الفرق، وحارب أفكارها ومن اعتنقها، ولعرف طريق الحق فسار فيه لا يبغي على أحد مسلمًا كان أو غير مسلم؛ لأن الباغي يرتد بغيه على نفسه، فالله تعالى يقول: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس:٢٣].

أقول: لو قرأ المسلم هذا الْمُؤَلَّف مُترويًّا؛ لنال خيرًا كثيرًا؛ إذ يسارع إلى تصحيح عقيدته، ويحرص على بقائها صحيحة خالصة لله تعالى، ويصلح ما بينه وبين الله من عبادات، ويصلح ما بينه وبين الناس من معاملات، ويصلح ما بينه وبين نفسه فلا يظلمها بتعريضها لعقاب الله في الدنيا والآخرة.

ومن عجيب الأمر أنه في هذا العصر ظهرت على ساحة الأقطار الإسلامية -كما أسلفت في تقديْم هذا الْمُؤلَّف- موجات عنف وإرهاب إجرامية عاتية، تقوم عليها شرذمة فاجرة جُلُّهم من الشباب الضائع، استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله، وأخذوا يفسدون في الأرض ولا يصلحون، ويستبيحون دماء الناس، وأموالهم، وأعراضهم بغيًّا، وعدوًا، ويدمرون، ويخربون، ويهلكون الحرث والنسل، ويزعمون الفقه في الدين، والتميز في العقيدة، وأفئدتهم مما يزعمون هواء، لأنَّهم جهلة أميون في دينهم، لا يعلمون الكتاب إلا أمانيَّ، وإن هم إلا يظنون، فويلٌ لهم مما جَنَتْ أيديهم، وويل لهم مما يكسبون.

ألا أيها الشباب في كل قطر إسلامي: لا تنبشوا قبور الفرق الَّتي نَسَبَنْ

نفسها إلى الإسلام زورًا وبُهتانًا، لأنَّها ماتت من قديم، وقُبرت، وأُهيل عليها التراب، فلا تبعثوها من جديد لتحيوا أفكارها الذميمة في صورة أسماء جديدة تتستر وراء الإسلام، والإسلام منها جميعًا براء، فتسمموا قلوبكم، وتشوهوا فِطرتكم، وتحولوا حياتكم إلى ضلال وسُعُر.

ألا أيها الشباب: ارجعوا إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وتعلموا منهما عقيدة التوحيد الخالص على ما بيَّن لنا علماء السلف الصالح -رضوان الله عليهم- في مؤلفاتِهم بيانًا صادقًا، ومنها هذا الْمُؤَلَّف الطيب، حتَّى تعودوا -وأقرانكم- إلى حظيرة الإسلام، وتحيا بكم الأمة، وترتبط قلوب أبنائها، وتصير كالجسد الواحد، وتتجلى وحدتُها كما قال تعالى: ﴿**وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ**﴾ [المؤمنون:٥٢].

أسأل الله الكريم ربّ العرش العظيم أن يديم على المؤلّف طلاقة لسانه بالصدق، وسيلان قلمه بالحق، وأن ينفع به كل من قرأه وسمعه، وأن يجزي المؤلّف خير ما يجزي به الصادقين المخلصين.

كما أسأله تعالى أن يوفقنا جميعًا لِمَا يحب ويرضَى، إنه سبحانه على هذا قدير، وبإجابته جدير، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه.

كتبه

دكتور / سعد عبد الرحمن ندا

في شهر صفر ١٤١٤ هـ



فهرس الموضوعات


I.P.C
المركز الدولي للطباعة
012/7930415
012/4179887




تصحيح المفاهيم
في جوانب من العقيدة
تأليف
فضيلة الشيخ العلامة
محمد أمان بن علي الجامي
طريقة الإسلام في التربية
تأليف
فضيلة الشيخ العلامة
محمد أمان بن علي الجامي
الحكم على الشيء
فرع عن تصوره
تأليف
فضيلة الشيخ العلامة
محمد أمان بن علي الجامي